دراسات في المنهج (١٥)

تدبر القرآن الكريم

وقفات ولفتات

تأليف
عبد الله بن ضيف الله الرحيلي
أستاذ في الحديث وعلومه. عضو هيئة التدريس
بجامعة طيبة بالمدينة المنورة سابقاً

www.alukah.net
شبكة الألوكة

دراسات في المنهج (١٥)

تَدَبُّرُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

وَقفَـــاتٌ وَلَفتَـــاتٌ

بقلـم

أ. د. عبد الله بن ضيف الله الرحيلي

بسم الله الرحمن الرحيم

ح عبدالله بن ضيف الله الرحيلي، ١٤٤٦هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الرحيلي ، عبدالله بن ضيف الله
تدبر القرآن الكريم: وقفات ولفتات/ عبدالله بن ضيف الله الرحيلي- ط٣ - المدينة المنورة، ١٤٤٦هـ.
٢٣٢ ص ، ١٧ × ٢٤ سم
ردمك، ٨ - ٥٦٨٠ - ٠٢ - ٦٠٣- ٩٧٨
١ - القرآن-مباحث عامة أ - العنوان ب-السلسلة
ديوي ٢٢٩ ١٤٤٦/١٤٩٤

رقم الإيداع : ١٤٤٦/١٤٩٤
ردمك،٨ - ٥٦٨٠ - ٠٢ - ٦٠٣- ٩٧٨

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة
١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م

مؤسسة محراب العلم الوقفية - للنشر والتوزيع
لطلب نسخ: جوال ٠٥٤ ٧٣٣ ٧٦٧٩.

عنوان المؤلف البريدي
Email:ruhaili65@hotmail.com

ج

سير الدراسة في شرح الكتاب

الدرس	اليوم والتاريخ	الصفحة	الموضوع الذي وصله الشرح

* شارح متن الكتاب/ .....

* موعد الدرس/ .....

- بداية الدرس: / / ١٤هـ
- نهاية الدرس: / / ١٤هـ
- زمن الدرس: .....
- مكان الدرس: .....

البيـــانات الخاصـــة

الاســم	
رقم الجوال	
العنوان	
البريد الإلكتروني	
وسيلة تواصل	

هـ

مسائل تحتاج بحثاً ومراجعةً

م	المسألة	المرجع	النتيجة
١			
٢			
٣			
٤			
٥			
٦			
٧			
٨			
٩			
١٠			
١١			
١٢			
١٣			
١٤			
١٥			
١٦			
١٧			
١٨			
١٩			
٢٠			

محتويات الكتاب

م	الموضوع	عدد القواعد	الصفحة
أولاً:			
ثانياً:			
ثالثاً:			
رابعاً:			
خامساً:			
سادساً:			
سابعاً:			
ثامناً:			

ز

مراجع وشروح يقترح الرجوع إليها

م	الكتاب	المؤلف	ملحوظات
١			
٢			
٣			
٤			
٥			
٦			
٧			
٨			
٩			
١٠			
١١			
١٢			
١٣			
١٤			
١٥			
١٦			
١٧			
١٨			
١٩			
٢٠			

ط

كُنَّاشة الفوائد المهمة (١)

م	الفائدة	الصفحة	ملحوظات
١			
٢			
٣			
٤			
٥			
٦			
٧			
٨			
٩			
١٠			
١١			
١٢			
١٣			
١٤			
١٥			
١٦			
١٧			
١٨			
١٩			
٢٠			

كُنَّاشة الفوائد المهمة (٢)

م	الفائدة	الصفحة	ملحوظات
١			
٢			
٣			
٤			
٥			
٦			
٧			
٨			
٩			
١٠			
١١			
١٢			
١٣			
١٤			
١٥			
١٦			
١٧			
١٨			
١٩			
٢٠			

www.alukah.net
شبكة الألوكة

دراسات في المنهج (١٥)

تَدَبُّرُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
وَقَفَاتٌ وَلَفَتَاتٌ

بقلم
أ. د. عبد الله بن ضيف الله الرحيلي

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثالثة
١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م

وكانت الطبعة الأُولى
في: ١٤٣١هـ-٢٠١٠م

والطبعة الثانية
١٤٣٩هـ-٢٠١٨م

حقوق الطبع محفوظة

عنوان المؤلف البريدي
Email:ruhaili65@hotmail.com

لا يَشْغَلْك!!

يا أيها الإنسان!:

- لا تَشْغَلْك الصُّورُ عن السُّوَر!
- لا تَشْغَلْك القنوات عن الآيات!
- لا يَشْغَلْك الناس عن رب الناس!
- لا يَشْغَلْك الهزْل عن الجِدّ!
- لا يَشْغَلْك الحاضر العابرَ عن المستقبل الأبديّ!
- لا تَشْغَلْك الأجسام عن الحقائق الجِسام.
- لا يَشْغَلْك بريق البداية عن حقيقة النهاية!
- لا تَشْغَلْك لذةُ ساعة عن لذة الفوز عند قيام الساعة!
- يا أخي لا ترضَ بلذَّة ساعة بحُزْنٍ طويل!
- يا أخي هذا كتاب اللَّه وآياته يدعوكَ فيه اللَّه إلى رضاه وكراماته.

وهذا حديث رسول اللَّه ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى، إنْ هو إلا وحْيٌ يُوحَى؛ فمَا الذي يَصْرفك عنهما، وما الذي، ومَن الذي يُعَوِّضُك عنهما؟

لقد انتهيتُ إلى أنَّ من أهَمِّ قوانين التدبر: إذا أردتَ أنْ يَفْتَحَ لكَ القرآن الكريم أنوارَهُ وخزائنَهُ؛ فأسلِمْهُ نفسَك؛ مُسْلِماً مُسْتَسْلِماً؛ خاضعاً لأحكامه وحِكَمِهِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله تعالى منزل القرآن الكريم، هديَّةً هاديَةً للبشرية كلها، وأَمَر بتدبره، بل أَخبر سبحانه أنه أنزله لِنتدبره: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾(١).

والصَّلاة والسَّلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أمَّا بعد: فيسرني أن أَزِفَّ للقارئ الكريم الطبعة الثانية من كتابي: "تدبر القرآن الكريم: وقفات ولفتات"، وهو كتابٌ أثيرٌ إلى النفس؛ لأنه يتعلق بالكتاب العظيم الأثيرِ إلى النفس، كتابِ الله تعالى: القرآن الكريم.

ولا يخفى على القارئ الكريم الهدف من هذا الكتاب، وهو معالجة موضوعِ تَدَبُّر القرآن الكريم؛ لتقرير المنهجية المطلوبة للتدبر والفقه عن الله كتابَهُ العزيز.

ويتلخص الجديد في هذه الطبعة في الآتي:

- إصلاحُ الأخطاء المطبعية الواقعة في الطبعة الأولى بسبب الخطأ بطباعة النسخة التي لم تكن عليها تصحيحات القراءة النهائية قبل الطبع.
- تدقيقُ الكتاب ومراجعته.
- لصْقُ الآيات من المصحف الشريف الرقمي بالرسم العثماني.

(١) ٢٩: ص: ٣٨.

- بعضُ الزيادات في الكتاب، ولا سيما نقاط قليلة في منهج التدبر.

ومن ذلك إضافةُ أمثلَةٍ مفتوحة قليلة في نهاية الكتاب للتطبيق العملي على تدبر الكتاب العزيز؛ يُفترَضُ أن يُنفِّذها قارئ الكتاب في ضوء ما قرأه فيه.

ويبقى هذا الموضوع قابلاً لمزيدٍ من موضوعاتِ التدبر، وقابلاً للزيادة عليه بين فترة وأخرى.

اللهم تقبَّلْ هذا العمل مني ومِن كل من أسهم فيه برأي، أو مقترَحٍ، أو ملحوظة، أو مراجعةٍ، أو نقدٍ.

وممن يستحق الشكر، بعد شكر الله تعالى، طلابي وطالباتي الأعزاء، الذين درسوا عندي بمرحلة الماجستير، وكنتُ أُكلِّفُهم بقراءة الكتاب ونَقْده، تدريباً لهم على منهجية فقْهِ وحْي الله تعالى؛ فأفادوا - مشكورين- واستفادوا، وغيرهم من الناصحين.

وصل اللهم وسلم على محمد عبدك ورسولك البشير النذير وعلى آله.

والحمد لله رب العالمين.

وكتبه
عبد الله بن ضيف الله الرحيلي
١٤٣٩/٢/٣هـ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

هذا كتابٌ عن القرآن صَنَعَهُ القرآن، لأنه إنما هو من بركة القرآن، وثمرة تدبره؛ فهو كتابٌ عن التدبر من ثمرة التدبر، ولقد كان سبباً ونتيجة -في أحايين متعددة- لتأمُّل الكتاب العزيز، ولطالما قضيتُ به ليالي وأياماً ممتعة مع المصحف الشريف: أُقلّبُهُ، وأُقبّلُهُ[٢]، وأَقبَلُهُ، وأكتبُ عنه، فوا لَهْفَ نفسي على تلك السويعات، لَيْتَهَا لم تنقطع، أو ليتني عنها لم أنقطع!.

﴿... ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ... ﴾[٣].

والتدبر والفهم هما الغاية الأساس من وراء قراءة القرآن؛ لصالح العمل والتطبيق.

والقرآن يتجدد بتجدد المتدبرين للآيات، ويتجدد بتجدد الإنسان والزمان، بل هو متجدد بتجدد تدبر القارئ الواحد، فكلما قرأه بتدبر، تجدَّدَ القرآن في نفسه وفي فهمه!

وهذه الأوراق من الموضوع قد اتّجه الرأي إلى نَشْرها، وإنْ لم يَكتمل الموضوع على الصورة التي أَردتُها؛ إذْ قد انتظرتُ اكتمالها طويلاً، حيث كنتُ كتبتُ هذه الأوراق منذ نحو ثمانية عشر عاماً! لكن، لا يكون إلا ما ييسره الله تعالى.

وعلى الرغم من كثرة ما كُتِبَ حول تَدَبُّرِ القرآن الكريم، فإنَّ التَّدَبُّرَ

(٢) فإن قال قائلٌ: هذه بدعة. قلنا له: إنّ الأدب ليس من سوء الأدب!

(٣) ٤٣: الأعراف: ٧.

المطلوب يبقَى واجبَ المسلم والمسلمة: قراءةً للكتاب العزيز، وقراءةً حول الموضوع، وطُرُقِه ووسائله؛ حتى يَتَحَقَّقَ لهما القيامُ بهذا الواجب الذي أوجبه اللّهُ تعالى على كلِ مسلمٍ ومسلمةٍ تُجاهَ القرآن الكريم.

ومن أجل ذلك فإنّ تنوُّعَ التجارب والكتابات في الموضوع سيكون مفيداً، غير مكرَّرٍ، ولا مملولٍ.

وهذا مما شَجَّعَ على نَشْرِ هذه الأوراق؛ لعل اللّه تعالى يجعلها نَفْعاً وذُخْراً نافعاً يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون.

نسأله تعالى أن يتقبل، ويتجاوز، ويُحْسِنِ العاقبة.

وكتبه
عبد اللّه بن ضيف اللّه الرحيلي
١٤٣٠/٤/٧هـ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التمهيـد

«قال الإمام ابن تيمية:

«ومن الإيمان بالله وكتبه: الإيمان بأن القرآن كلام الله، مُنَزل غيـر مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، وأن الله تعالى تكلم به حقيقة، وأن هـذا القرآن الذي أنزله على محمد ﷺ هو كلام الله حقيقة لا كلام غيره، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام الله، أو عبارة عنه، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه، بذلك في المصاحف، لم يَخْرج بذلك عن أن يكون كلامَ الله تعالى حقيقةً؛ فإن الكلام إنما يضاف حقيقةً إلى مَنْ قاله مبتدئاً، لا إلى من قاله مبلّغاً مؤدّياً.

وهو كلام الله، حروفـه ومعانيـه، لـيس كـلام الله الحـروف دون المعاني، ولا المعاني دون الحروف»[٤].

☑ ☑ ☑

(٤) مجموع الفتاوى: ١٤٤/٣. وقد خُصّص المجلد الثالث من مجموع فتاوى الإمام ابـن تيميـة، رحمه الله تعالى، للحديث عن القرآن، واشتمل على مباحث وفوائد مهمة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الأول

كلمات عن القرآن(٥)

ويشتمل على الوقفات التالية:

- الوقفة الأُولــى: دواعي تدبر القرآن.
- الوقفة الثانيــة: دواعي تدبر القرآن أيضاً.
- الوقفة الثالثــة: دواعي تدبر القرآن أيضاً.
- الوقفة الرابعــة: نحن والقرآن الكريم!
- الوقفة الخامسة: القرآن خطاب الله إلى الإنسان فهل نستجيب؟
- الوقفة السادسة: إذا قرأت القرآن فاقرأ المعانيَ كما تقرأ الألفاظ.
- الوقفة السابعة: وقال ربكم ادعوني أستجبْ لكم!
- الوقفة الثامنة: يا قارئ القرآن!
- الوقفة التاسعة: تَذكُّرُ أَمْرِ اللهِ بِتِلاوَةِ القُرآنِ الْكَرِيمِ.
- الوقفة العاشرة: أدبُ الرحمن في مخاطبة الإنسان.

(٥) كُتبتْ هذه الكلمات تدبراً لآيات، أو معانٍ وردتْ في القرآن الكريم، وقد جاءت في موضوعاتٍ متعددةٍ تَبَعاً لاختلافِ معاني الآيات أو موضوعاتها.

الوقفة الأُولى

دواعي تدبر القرآن

إنّ أعظم ما يوصَف به القرآن الكريم أنه كتاب اللّه تعالى، وأنه كلام اللّه تعالى!

وأعظم ما يَحْمل المرءَ على تدبر القرآن الكريم استحضارُه لهذا الوصف.

والفرق عظيم جداً بين مَن يقرؤه أو يستمع إليه وهو يستشعر، حقيقةً، أنه كلام اللّه تعالى حقاً، وأنه خطاب اللّه تعالى إلى خلقه، وبين من يستمع إليه أو يقرؤه استماعاً أو قراءة مجرَّدَين عن هذا الاستحضار أو ذلك الاستشعار أو ذلك الإيمان!

تمرُّ عليك آيات الوعْد الحسن للمؤمنين الصالحين فتعلم يقيناً أن ذلك كائنٌ لا محالة؛ لأنه وعْد رب العالمين، أصدق القائلين، القادر على كل شيء! فتعيش نفسك في أملِ ذلك الوعد الحسن وفي نفحاته، وتكاد نفسك تطير شوقاً إلى ذلك، هازئةً بكل شيء في الحياة الدنيا يقْطعها عن اللّه الكريم.

وتمر عليك آيات الوعيد على المعاصي، والظلم، والكفر، وسائر مستلزمات الجهل والفسوق، فتَعْلم يقيناً أن ذلك كائنٌ لا محالة؛ لأنه وعيدُ من بيده كل شيء وهو على كل شيء قدير، وهو أصدقُ القائلين سبحانه!

وتمرُّ عليك آيات القصص في هذا الكتاب العزيز فتعلم أن هذا هو القصص الحق، وأن الذي يقص عليك هذا القصص ليس أحداً سوى اللّه؛ فتزداد وَلَهاً إلى الإصغاء لهذا القصص؛ لأنك تعلم أن الذي يقص عليك هو اللّه تعالى، يقص عليك أحسن القصص.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إننا نرى الإنسان يستمع إلى من يَقص عليه ويَحْرص على الاستماع إلى هذا القصص أو قراءته، وإن اختلط به الحق والباطل، والواضح البيّن والمشتبه، وذلك لأسباب ودواعٍ كثيرة، حتى أَلِّف الناس الكُتبَ في التاريخ وتَخصصوا فيه وعُنوا به على الرغم مما اشتمَلَ عليه من الْتباسٍ للحق بالباطل، أو الصدق بالكذب، في كثيرٍ من الأحيان.

لكنك في هذا الكتاب العزيز لا تخاف شيئاً من آفاتِ نَقْل التاريخ وأخبارِ الماضين، ومزالقِ الإخباريين والمؤرخين.

أفلا تستمع إذن إلى ربك العزيز الرحيم يقُصّ عليك أحسن القصص!

هو الكتاب الذي مَنْ قام يقرؤه ★ كأنما خَاطَبَ الرحمنَ بالكَلِمِ[٦]!

يَطْرُقُ سمعَك ذكْرُ الأنبياء والرسل مع أقوامهم وذكْرُ الصالحين من عباد الله والدعاة إليه، وتشعر أنك مع كوكبة من أنبياء الله ورسله والصالحين والدعاة إليه والشهداء في سبيله.

ويَطرقُ سمعَك الآياتُ الكريمة تتحدَّثُ عن إبليس وجنوده من الكفرة والفساق.

تُخْبرك الآيات عن عاقبة هؤلاء وهؤلاء.

تَنقُلُ لك الآيات عَبْرَ القرون الساحقة ما جرى بين الفريقين: حزب الله وحزب الشيطان، من حوارٍ ودعْوةٍ، وحروبٍ، وعاقبةٍ!

تَمرُّ عليك آيات الرحمة وآيات العذاب.

تَمرُّ عليك آيات التذكير بنعم الله التي لا تُحصَى.

وكلما تذكّرتَ أن الكلام كلام الله تعالى وأن المخاطَبَ هو هذا الإنسان الضعيف المسكين العبد عرفتَ قدْرَ ما تسمَعه وما تقرؤه في هذا الكتاب الحق!

(٦) المنظومة الميمية في وصية طالب العلم، لحافظ حكمي، ضمن مجموعٍ له، ص ٦.

الوقفة الثانية

دواعي تدبر القرآن أيضاً

قالوا: المرء من قرينه!

وقال القائلُ:

عن المرء لا تَسَلْ وسَلْ عن قرينه ⋆ فكلُّ قرين بالمقـــارِن يَقْتدي

فما بالك بمن يجلسُ إلى الله تعـالى، وذلـك بالحيـاة مـع كتابـه، ويَتفهّمُ عن الله خطابه، ويَتلقّى عنه عزَّ وجلَّ شرْعه وتأديبه؟

ألا ما أَعظمَ نِعمة الله وفضْله بإنزال كتابه القرآن الكريم إلى خَلْقه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون!

ويا سَعْدَ مَن إذا ذهب الناس لشؤونهم ذهـب هـو إلـى خطـاب الله وكلام الله الرب العزيز الرحيم!

كفى به فضلاً أن يكـون قارئـاً أو مسـتمعاً إلـى كـلام الله العزيـز الكريم.

كفى به فضلاً أن يكون دارساً لكتاب الله تعالى.

كفى به فضلاً أن يكون منشغلاً بكلام الله تعالى عن كلام سواه.

كفى به فضلاً أن يكون عبداً لله سبحانه!

وما بالك بمن يُجالس رسـول الله ﷺ، وذلـك بالحيـاة مـع حديثـه وسنّته وسيرته.

ألا ما أعظمَ مِنّة الله تعالى على خلْقه ببعْث رسله إليهم، ولا سـيما أفضلهم وخاتمهم محمداً ﷺ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون!

ويا سَعْد مَن إذا ذهب الناس لشؤونهم ذهب هو إلـى سـيّد الأوّلـين

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والآخرين من خلْق الله تعالى، صاحبِ الخُلق العظيم، وإمام المرسلين، فلازَمه في مجالسه، وفي حِله وترحاله، وظعْنه وإقامته، وشاهَدَ سائر أحواله في السلم والحرب، وتربيته وتعليمه، وسمِع كلامه ونصائحه وتوجيهه ورأى عبادته ونهجه في الحياة وطريقة تعامله مع الناس.

يا سَعْدَ مَن هذا حاله سواء كان صحابياً أو تابعياً أو من أتباعهم إلى يوم الدين، فإن من نعم الله على عباده المؤمنين أنّ من فاتته الصحبة وشرفُها لم يَفُتْه خبرُها والحياة في نسيم رياضها إذا شاء، فالحمد لله رب العالمين!

ألا ما أعظمَ الأُنس بالله تعالى، ولكنّا عن هذا غافلون!

ألا ما أعظم الأُنس بمحمد رسول الله ﷺ، ولكنا عن هذا غافلون!

ألا ما أجملَ الحياة مع الله، ولكن أكثرهم عن هذا غافلون.

ألا ما أجملَ الحياة مع رسول الله ﷺ ولكن أكثرهم عن هذا غافلون.

فيا مَنْ يبحث عن الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة.

ويا مَنْ يبحث عن الأُنس في الدنيا وفي الآخرة.

ويا مَنْ يبحث عن الأمن في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

ويا مَنْ يبحث عن الجاه والعزّ في الحياة الدنيا والآخرة.

ويا مَنْ يبحث عن مولىً عزيز يتولاّه في الدنيا والآخرة.

ويا مَن يبحث عن السعادة في الدنيا وفي الآخرة.

لا تبتعدْ عن الهدف.

لا تَطُلْ بك الطريق.

لا يُضلّك المزخرفون.

لا تستهدِ الغاوين.

لا تخطئ الطريق.

عليك بالحياة مع الله بالحياة مع كتابه الكريم.

عليك بالحياة مع رسول اللّه ﷺ بالحياة مع سنته وحديثه وسيرته.

ألا ما أعظمَ وأجملَ الحياة مع اللّه، والأُنسَ به، ولكن لا تَسلْ عن ذلك من لم يَعرفْه!

ألا ما أجملَ الجلوس والإقامة مع رسول اللّه، ولكن لا تَسلْ عن ذلك مَن لم يعرفْه.

ألا ما أجملَ السفر مع رسول اللّه، ولكن لا تَسلْ عنه من لم يعرفْه.

ألا ما أجملَ الدراسة على يَدَي رسول اللّه، ولكن لا تَسل عنها من لم يعرفها.

ألا ما أجملَ التأدبَ والتربيةَ على يَدَي رسول اللّه، ولكن لا تَسلْ عن ذلك من لم يُجَرِّبْهُ.

ألا ما أحسنَ طريق محمد ﷺ، ولكن لا تَسلْ عنه من لم يمشِ فيه!

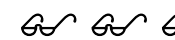

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الوقفة الثالثة

دواعي تدبر القرآن أيضاً

لو توعّدَكَ شخصٌ عاديٌّ في المجتمع بشيءٍ ما، فماذا سيكون وقْع ذلك عليك؟ لا شك في أنك ستحسبُ حساباً لتوعُّده، وتخاف أن يُلْحق بك ضرراً ما بتنفيذه ما هددك به، وسيهمُّك الأمر، وتأخذ حذرك واحتياطاتك.

ولو توعَّدك شخصٌ من الناس بيده سلطةٌ في المجتمع، أو له شيء من السلطة، فماذا سيكون وقْع ذلك عليك؟

لا شك في أنّ الأمر سيهمّك أكثر وسيشغل بالك، وستحسبُ له حساباً، وستتخذ الوسائل التي تَحُولُ بينك وبين تنفيذ ما توعَّدك به، وذلك بالاعتذار أو الفرار، أو الإصلاح من خطئك، كي تطمئنّ من خوفِ وقوع العقوبة عليك، ويعود الأمن إليك!

بل قد يتخذ بعضُ الناس هذا المسلك مع نفسه ولو كان قد اتُّهِمَ ظُلماً أو هُدّدَ ظُلماً!

فما بالُك إذَنْ عندما يكون هذا المتوعِّدُ لك ليس واحداً من المخلوقين، وإنما هو اللّه رب العالمين، الخالق القادر، الذي بيده كل شيء، وهو على كل شيء وكيل، إليه المصير وبيده الحساب سبحانه!

فهل يا تُرى تقف الموقف ذاته من وعيدِ اللّه تعالى على المعاصي وعلى مخالفة أمره، وعلى التقصير في الالتزام بشرعه؟

هل تخاف؟

هل تَوْجل؟

هل تتجنب الوقوع في نَهْيه، والتقصير في امتثال أمْره؟

هل تتخذ الوسائل التي تَحُوْل بينك وبين عذابه وسخطه سبحانه؟

هل تُفكّر في التوبة والاعتذار؟

أم هل تُفكّر في الفرار؟!

وكيف تَفرُّ منه؟! وإلى أين تَفِرُّ منه؟! أإلى أرضٍ غير أرضه سبحانه؟!

أم إلى سماء غير سمائه سبحانه؟!

أم إلى مكان لا يراك فيه؟!

أم إلى مكان لا يَقْدِرُ عليك فيه؟!

بل لو أردتَ ذلك فبأيّ قُدْرة تتحرك، وبأيّ أَمْرٍ تَسير؟! أليس أمرك كله بيده إيجاداً ومآلاً؟! ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾(٧).

يا أخي إن الإنسان يخطئ خطأً عظيماً حين يرْهب وعيد المخلوقين ولا يكترِثُ بوعيد الخالق!

يا أيها الإنسان إنك - واللّه- إذا فعلتَ هذا أخطأتَ خطأً بيّناً؛ لأنك قد خِفتَ حقيراً، وأَمِنْتَ عظيماً!

ولماذا أيها الإنسان تَسْلُك هذا المسلكَ؟

لعلك قد بَلَغَك تهديدُ فلان من الناس لك، فقَلِقْتَ قلقاً عظيماً، وطار عنك النوم، ولم يهْنأك عيش، وعِشْتَ حالةً من الخوف لا تَعْرِف معها الأمن!

لكن هوّنْ عليك:

فلعلّ تهديد المخلوق هذا الذي بَلَغَك، لعله لا يصح، وإنما هو كَذِبٌ عليه!

وإن صح فلعله مزحٌ وليس جِدّاً!

(٧) ٩٦: الصافات: ٣٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإن كان جِدّاً لا هزلاً، فلعله كاذبٌ فيه لا يَصْدُقُ فيه مع نفسه!

وإن كان صادقاً لعله لا يستطيع تنفيذه!

وإن كان قادراً على تنفيذه لعله يُحال بينه وبينه بسببٍ من الأسباب الكثيرة جداً، ومنها أنّ خالقه سبحانه يَصْرفه عنه صرفاً، بل قد يُحَوِّل اللّه سبحانه هذا المخلوق إلى حال الضدّ، فينقلب هذا الإنسان من الوعيد إلى الوعد!

إذَنْ ربما كنتَ مخطئاً بهذا الخوف الشديد من وعيد المخلوق!

لكنك مخطئٌ قطْعاً بعدم اكتراثك بوعيد الخالق سبحانه، ولعلك تقرأ الآيات من القرآن الكريم كلام اللّه جلّ وعزّ، ثم لا تكترثُ ولا تتوقف عند وعيد الملك القادر سبحانه!

إن كل تلك الاحتمالات الواردة على وعيد المخلوقين ليست واردة على وعيد الخالق سبحانه!

فهل عرفتَ أنك مخطئ، وأنك في حاجة إلى أن تؤوب وتستغفرَ وتتوب؟

فوعيد الخالق سبحانه ثابتٌ عنه قطعاً ويقيناً! فهل تشُكُّ في القرآن؟

أم هل تشكُّ في الثابت من حديث النبي ﷺ؟

وهو وعيدٌ جادٌّ! فهل تظُن أن اللّه تعالى توعّد مَن عصاه مازحاً هازلاً؟! تعالى اللّه عن ذلك علوّاً كبيراً!

وهو وعيدٌ حقٌّ، لأن كلام اللّه صدْقٌ بلا ريب، ومَن أصدق من اللّه قيلاً؟

ويزيد الأمرَ شأناً أن اللّه هو القادر على إنفاذ وعيده، وأنه سبحانه لا يحُول بينه وبين إنفاذ وعيده تلك العوارض التي تعتري وعيد المخلوقين!

فأين المفرّ أيها الإنسان الذي توعّدَه خالقه؟

وكلُّنا ذلك الإنسان؛ لأن الخطاب الإلهيَّ موجَّهٌ إلينا جميعاً؛ ولأن الوعيد الإلهيّ موجَّهٌ إلى كل من يقعُ في معصية الخالق عزّ وجلّ. وكلنا أو جُلّنا قد وقَعْنا في تلك المعاصي التي أوضحَ لنا الخالق سبحانه عقوباتها!

أفلا نخاف إذَنْ؟

وإذا خفناه حقّاً وصدْقاً فماذا نحن صانعون؟ وما الدليل على ذلك الخوف؟

يا أخي.. يا أخي! إن الأمر جدٌّ لا هزلٌ!

يا أخي اختبرْ نفسك، وحاسبْهَا اليوم ما دُمتَ في ساعة المُهْلة، ولعلها لا تدوم!

وربما تقول: وكيف أختبر نفسي؟

أقول: كن صادقاً مع نفسك، وهذا كتاب اللّه بَيْنَ يديك لا يَحُولُ بينك وبينه أحدٌ، أَقبلْ عليه، اقرأْهُ، وهو مشتمل على آيات اللّه في الوعد والوعيد، وما أكثرها، وما أعظمها!

وانظر هل تجدُ من نفسك ذلك الخوف والوجل الذي تجده من البَشَرِ أو أعظمَ أو أقل أو لا تكترثُ أصلاً!

وقُلْ لنفسك: إنّه اللّه جلَّ في عُلاه.

وإنّ الأرضَ أرضه!

وإنّ السماء سماؤه!

وإنّ الكتاب كتابه!

ونحن عبيده!

وإنّ الوعيد وعيده، والوعْد وعْده!

اللهم وفّقْنا للثقة بوعْدك، والخوفِ مِن وعيدك، واختمْ لنا بخيرٍ يا أرحم الراحمين.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الوقفة الرابعة

نحن والقرآن الكريم!

هل اشتاقت روحك[٨] لتلاوة أعطر الآيات من كتاب الله تعالى؟

هل خصصت لهذا الكتاب العظيم وقتاً من يومك؟

متى كانت آخر مرة ختمتَ فيها القرآن الكريم؟

ما مدى تأثرك بكلام الله تعالى؟

أسئلة كثيرة تدل إجاباتها على مدى اتصالنا بكلام الرحمن الرحيم، وتكشف لنا حقيقة ما عندنا من الإيمان.

الاتصال بكتاب الله سبحانه وتعالى يحيي القلب، ويبث الإيمان، ويربط الروح بالله، ويطَمْئن النفس، ويزيد الأنس، ويمتع النظر، ويحفظ القلب من الآثام، ويشغل الفكر بما يفيده في الدنيا والآخرة، ويحميه من الأفكار والخيالات الفاسدة.

إنه مهما كان انشغالنا، وازدحام الأعمال بين يدينا، وتراكم المهام في دفتر يومياتنا، فلا يصح أبدا أن ننشغل بشيء -مهما كان- عن تلاوة كلام الله، والاتصال بآياته المحكمة وعظاته المؤثرة.

أيُّ خسران هذا، وأيُّ غبن نقعُ فيه عندما ننشغل عن كتاب الله بما هو دونه، بزعم أننا لا وقت لدينا، مع علمنا بجزيل الثواب لمن يتلو آيات الكتاب، وكلنا أو جُلّنا نعلم أن الحرف بحسنة، والحسنة بعشر أمثالها، فكل حرف بعشر حسنات!

---

(٨) نقلٌ عن: موقع: "القرآن في دفتر يومياتنا" بقلم: هاني الشيخ جمعة سهل rowadt@gmail.com، ٢٠١٢/٠٢/٢٦م الساعة ١٠:٢٤ مساءً. مع التصرُّف، والتعديل في بعض المواضع، وكذلك التنسيق، وضبط للكلمات.

لكن المصيبة أن هذا الغبن لا يظهر إلا في يومِ التغابن، يوم توزن الحسنات والسيئات بميزان القسط الذي يبين فيه مثقال الذرة: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾، ذلك اليوم الذي يقول فيه العبدُ: ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى﴾.

ألا يستحي أحدنا من اللّه أن يكون داعية، أو طالب علم، أو إماما، أو ملتزماً بدين اللّه، وتمر عليه الأسابيع لم يفتح فيها مصحفا، ولم يقرأ فيها جزءا واحدا، ولا عهْد له بختم القرآن إلا في رمضان الماضي؟!

إذَنْ، أخي الغالي، اجعل لك وِرْداً يوميا تقرؤه من كتاب اللّه، مهما كان انشغالك.

ورتّب جدولاً لختم القرآن، فقد كان الصحابة، رضي اللّه عنهم، يختمونه كل أسبوع مرة.

حدّد مقدار تلاوتك بما يتناسب مع طاقتك، ولْيكن جزءاً في اليوم بدايةً مناسبةً، وبهذا تختم القرآن تلاوة مرة كل شهر.

وهاك بعضَ التوصيات، التي تُعينك على ذلك بإذن اللّه تعالى:

١- ليكن لك مصحفٌ صغير (مصحف جيب)، واجعله رفيقك أينما حَلَلْت وحيثما ارتحلت، أو حَمِّلْ برنامجاً من برامج القرآن الكريم الإلكترونية المعتمدة، للقراءة فيه كلما وجَدتَ فرصةً، بل ينبغي أن يكون في هاتفك الجوال أكثرُ من مصحفٍ بأنماط متعددة من البرامج الرقمية؛ فذلك أدعى للارتباط بكتاب اللّه.

٢- تذكر دائما أنّ القرآن الكريم بالنسبة لك أهمُّ من هاتفك الجوال؛ فأنت أحوجُ لاصطحابه معك من اصطحاب هاتفك.

٣- إنه **لو كان اهتمامُنا باصطحاب المصحف مَعَنَا أينما كنا، كاهتمامنا باصطحاب الهاتف الجوال لتغيرت أحوالنا!**

٤- حدِّدْ مقداراً ثابتاً للتلاوة كل يوم، كالجزء أو الجزأين، مثلاً.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٥- اخترْ رفيقاً صالحاً يُعِينك على تلاوة هذا الوِرد اليومي، ولتكن بينكما منافسة.

٦- خصّصْ وقتاً من يومك محدداً؛ لتلاوة هذا الورد اليومي، وليكن في فترة النهار، حتى تستطيع أن تُعوِّض ليلاً ما فاتك من التلاوة إذا منعك ظرفٌ طارئ.

٧- استثمرْ وقت فراغك في تلاوة المزيد من كتاب الله، فعندك أوقاتٌ كثيرة تَضيع في الانتظار، وتُهْدَر فيما بين الأعمال الكبيرة، دون أن تشعر بها.

كثيرٌ ممن يزعمون أنهم لا يجدون وقتا هم في الحقيقة مشغولون بلا مهمة، تَضِيع منهم أوقات كثيرة بسبب عدم استعدادهم لاستثمارها، وعدم تخطيطهم لاستثمارها.

كم من طلاب الجامعات والموظفين مَن يستقل المواصلات العامة، أو وسيلتَهُ الخاصة، ويقضي أكثر من ساعتين أو ثلاثٍ يوميا ذهابا وإيابا، دون أن يقرأ فيها حرفاً واحداً يكون له ذخراً في يوم الحسرات.

نسأل الله تعالى:

- أن يوفقنا لتلاوة كتابه.
- وتدبره.
- والعمل به.
- وأن يجعله حجةً لنا لا حجةً علينا.
- وأن يجعلنا مِن أهل القرآن، الذين هم أهل الله وخاصته.

الوقفة الخامسة

القرآن خطاب الله إلى الإنسان فهل نستجيب؟!

القرآن هو دعوةُ الله لك أيها الإنسان فهل تجيب؟

القرآن هداية الله إلى الإنسان فهل تَقْبل هدايةَ الله أيها الإنسان؟

القرآن نورُ الله المبين لكل مَنْ قَبِلَ الاستضاءة به؛ فهل تستضيء به أيها الإنسان؟

إنما ينتفع بهذا الكتاب مَنْ قَبِلَه إماماً ومنهجاً وأقبل عليه!

فمن قَبِلَ وأقبل قُبِلَ، ومن رَفَضَ رُفِضَ، ومن أعرض عن الله أعرض الله عنه!

وهل رأيتَ في الدنيا وقاحةً وقلَّةَ أدب وسماجةَ نفسٍ وتفكير من أَنْ تَسمع الله يناديك إلى هداه، ونوره، ورحمته، وكرمه، ثم تُعْرِض عنه ولا تستجيب له!

كيف تَسَعُكَ الدنيا والآخرة وأنت معرضٌ عن الله الخالق وعن كلامه ونوره ودعوته لك؟

تسمعه -وهو الغنيّ عنك وعن العالمين- يُكرر النداء في هذا الكتاب: يا أيها الناس.. يا أيها الناس.. وأنت منهم، ثم لا تستمع!

تسمعه يكرر النداء: يا أيها الذين آمنوا.. يا أيها الذين آمنوا.. وأنت منهم، ثم لا تَكترث لهذا النداء الإلهي!

تَسمعه يكرر النداء -وهو الغنيّ عنك وعن العالمين- ويقول لك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ۝٨﴾[٩].

(٩) ٦-٨: الانفطار: ٨٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكأنك لا تسمع؟

أيُّ سماء تُظلنا وأي أرضٍ تقلنا والحالة هذه؟

إنّ الله يُخاطبك في القرآن!

يُخاطبك بأساليبَ متعدّدة: فمرّةً بالخبر، ومرّةً بالأمر، ومرّةً بالاستفهام التقريريّ أو الاستفهام الاستنكاريّ، ومرّةً بالقصة...الخ الأساليب الإلهيّة في دعوتنا إليه سبحانه.

فما موقفك من هذا الخطاب الإلهيّ؟

ألا تتنبّهُ وتستجيب؟

وعندما يُخاطبك إنسانٌ مثلك فما موقفك من خطابه؟! هل تَغفل عنه؟ كلاّ!

إذَنْ فلماذا لا تَطّردُ الحال تُجاه مُخاطبة الله ذي الجَلال؟

نَعَمْ: من قَبِلَ وأقبل قُبِلَ، ومن رَفَضَ رُفِضَ، ومن أعرض عن الله أعرض الله عنه!

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾(١٠).

وقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(١١).

وقال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾﴾(١٢)!!.

(١٠) ٧: إبراهيم: ١٤.

(١١) ٦٠: غافر: ٤٠.

(١٢) ١٢٤-١٢٧: طه: ٢٠.

وقال: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾(١٣).

وقال: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ إِنَّا جَعَلۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ أَكِنَّةً أَن يَفۡقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗاۖ وَإِن تَدۡعُهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ٥٧ وَرَبُّكَ ٱلۡغَفُورُ ذُو ٱلرَّحۡمَةِۖ لَوۡ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلۡعَذَابَۚ بَل لَّهُم مَّوۡعِدٞ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوۡئِلٗا ٥٨﴾(١٤).

وقال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ مَا قَدۡ سَبَقَۚ وَقَدۡ ءَاتَيۡنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكۡرٗا ٩٩ مَّنۡ أَعۡرَضَ عَنۡهُ فَإِنَّهُۥ يَحۡمِلُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وِزۡرًا ١٠٠ خَٰلِدِينَ فِيهِۖ وَسَآءَ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ حِمۡلٗا ١٠١﴾(١٥).

أرأيت كيف أنه من قَبِلَ وأقبل قُبِلَ ومن رَفَضَ رُفِضَ؟

(١٣) ١٤٦: الأعراف: ٧.
(١٤) ٥٧-٥٨: الكهف: ١٨.
(١٥) ٩٩-١٠١: طه: ٢٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الوقفة السادسة

إذا قرأت القرآن فاقرأ المعانيَ كما تقرأ الألفاظ!

القرآن الكريم كلام الله العليم الحكيم، ونحن متعبَّدون بألفاظه ومعانيه، لا بألفاظه فقط، كما هو الشأن الذي يبدو من حالنا اليوم مع القرآن في أغلب الأحيان!! إن القرآن يتكون من اللفظ والمعنى، ولقد انطوى هذا الكتاب الكريم على معانٍ معجزة بعثها الله تعالى إلينا عَبْر هذه الألفاظ الكريمة، فاللفظ خادمُ المعنى وليس العكس، على ما يوهمه ظاهر حالنا مع القرآن!! وقد قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾[١٦]. وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[١٧].

وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾[١٨].

وقال: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُواْ ٱلْقَوْلَ ...﴾[١٩].

وقال في أوصاف فريق من عباده المؤمنين: ﴿...وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾...﴾[٢٠].

وقال الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾[٢١].

---

(١٦) ٢٩: ص: ٣٨.
(١٧) ٨٢: النساء: ٤.
(١٨) ٢٤: محمد: ٤٧.
(١٩) ٦٨: المؤمنون: ٢٣.
(٢٠) ٧٣: الفرقان: ٢٥.
(٢١) ٩٨: النحل: ١٦.

وأَمَرَ بالتأني وعدم الاستعجال الصارف عن التدبر المطلوب في قراءته فقال لرسوله ﷺ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝١٨ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ۝١٩﴾[٢٢].

وقال: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ۝١٠٦...﴾[٢٣].

وأَمَرنا الله بقراءة ما تيسر منه فقال: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾[٢٤].

وأَمَر بالاستماع والإنصات لقراءته، فقال سبحانه: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٢٠٤﴾[٢٥].

وأمر بالسجود لله عند قراءته، في مواضعه، واستنكر على الكافرين عدم سجودهم لقراءته فقال جلّ ثناؤه: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۝٢١﴾[٢٦].

وقد تكرر في القرآن الكريم كثيراً بيانُ أن الله هو الذي أنزله، وأنه من عنده، وأنه كلامه.

وقد بيّن الله تعالى في القرآن أوصاف هذا الكتاب في عددٍ من المواضع:

- فهو كلام الله.

- وهو كتابٌ مبينٌ بيّنٌ، وكتابٌ عربيّ نعقله ونفهمه:

﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ۝١٦﴾[٢٧].

وقال: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٢﴾[٢٨].

---

(٢٢) ١٦-١٩: القيامة: ٧٥.
(٢٣) ١٠٦: الإسراء: ١٧.
(٢٤) ٢٠: المزمل: ٧٣.
(٢٥) ٢٠٤: الأعراف: ٧.
(٢٦) ٢٠-٢١: الانشقاق: ٨٤.
(٢٧) ١٦: الحج: ٢٢.
(٢٨) ١-٢: يوسف: ١٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾(٢٩).

- **وهو كتابُ ذِكْرٍ مباركٌ، يَتذكر به من آمن به:**

﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾(٣٠).

وكيف يُنْكَر هذا الكتاب الذي هو: ذِكْرٌ، ومبارك، وأنزله رب العالمين؟

- **وقد أنزله الله إلينا منذراً لنا في ليلةٍ مباركة:**

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾(٣١).

- **وقد أنزله الله بالحق لا مجرّد ألفاظ، فقال:**

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾(٣٢).

- **وقال في وظيفة هذا الكتاب ووظيفة الرسول ﷺ:**

﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾(٣٣).

- **وقال في أوصاف هذا الكتاب الجامعة:**

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾(٣٤).

وقال: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾(٣٥).

---

(٢٩) ١١٣: طه: ٢٠.
(٣٠) ٥٠: الأنبياء: ٢١.
(٣١) ١-٥: القدر: ٩٧.
(٣٢) ١٠٥: الإسراء: ١٧. وانظر: الآيات التي بعدها.
(٣٣) ١: إبراهيم: ١٤.
(٣٤) ٥٧-٥٨: يونس: ١٠.
(٣٥) ٨٢: الإسراء: ١٧.

وقال سبحانه: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾(٣٦).

وقال: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾(٣٧).

وقال: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾(٣٨).

وقال جلّ في علاه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾﴾(٣٩).

وقال في وصفه أيضاً: ﴿...وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾﴾(٤٠).

أرأيت يا أخي!! بل أرأيت أيها الإنسان، كيفما كنت وأينما كنت، شأنَ هذا الكتاب العظيم الذي يتحدث عن شأنه الخالق سبحانه!

أرأيت كيف:

- ✓- أَمَرَ بقراءته.
- ✓- وأَمَرَ بالاستماع والإنصات له عند قراءته.

---

(٣٦) ١٠٢: النحل: ١٦.
(٣٧) ٤١: الإسراء: ١٧.
(٣٨) ٤٥-٤٦: الإسراء: ١٧.
(٣٩) ١٩١-٢٠١: الشعراء: ٢٦.
(٤٠) ٢١٠-٢١١: الشعراء: ٢٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

✓- وأَمَرَ بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم عند قراءته.

✓- وأَمَرَ بالسجود في مواضعه عند قراءته.

✓- وأَمَرَ بتدبره والبعد عن كل ما يَصرف عن تدبره.

وحُقّ لهذا الكتاب الكريم أن يكون هذا شأنه!

كيف لا وهو كتاب الله تعالى؟

أرأيت دعوةَ الله لنا في القرآن الكريم -المتكررةَ، والمتنوّعةَ الأساليب، والمؤكَّدة- إلى فهْم كتابه وتدبّره والانقياد لحُكمه؟

وما هذا إلا جزء يسيرٌ جداً مما جاء في هذا المعنى في القرآن عن القرآن!

أرأيت أوصافَ هذا القرآن التي وصفه الله بها؟! وأنه كتابٌ مباركٌ، ونورٌ مُنَزّلٌ من عند الله الخالق سبحانه، وهدىً، ورحمة، وشفاء، وذكْرٌ حكيم، وموعظة، وبشير، ونذير، وبلاغ!

مَنْ ذا الذي لا يَقْبل: الكتاب المبارك، والذكر الحكيم، المُنَزّل من عند الله، وهدى الله، ونوره، ورحمته، وشفاءه، وموعظته، وبشارته ونذارته، وبلاغه، وصراطه المستقيم؟

وهل أيقنتَ بعد هذا أنّ الذي يدعوك الله إليه في هذا الكتاب ليس هو مجرّد الألفاظ وإنما المعاني أيضاً، بل المعاني هي المقصد الذي أنزل من أجله القرآن ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾(٤١).

وهل يتضح لنا الآن:

☒ خطأ الذين يتّجهون إلى إهمال تدّبر القرآن وفهمه بحجة الاتجاه إلى حفظه؟

☒ وخطأ الذين يحترمون حروفه ويهملون معانيَه وأحكامه؟

☒ وخطأ الذين يَقْبلون ألفاظه ويردّون معانيه وهدايته وأحكامه؟

(٤١) ٧٣: الفرقان: ٢٥.

☒ وخطأ الذين يقرؤون الألفاظ ويُعْنون بذلك، ولكنهم لا يقرؤون المعاني والمقاصد في الكتاب؟

إن هذا التعامل لا يُقْبَلُ في حقّ البشر؛ فكيف نَقْبله في حق الخالق؟.

فلو أن إنساناً أَرسل إليه والدُه أو عزيزٌ عليه رسالةً؛ فاحتراماً لصاحب الرسالة حَفِظَها غيباً أو أخذ يكرر قراءتها دون أن يُنفّذ منها شيئاً، أو دون أن يَفهم منها شيئاً، ولمّا سأله صاحب الرسالة: ماذا صنعتَ بها؟ قال له: حفظتها غيباً، أو قال قرأتها مراراً. فهل يكون قد احترم الرسالة وصاحِبها بمجرّد ذلك؟ وهل ذلك يُرْضِي صاحبَ الرسالة؟! كلا. بل سيقول له في هذه الحال: وما الذي فهمت منها؟ وما الذي عملت به!

اللهم وفقنا للعناية بكتابك حفظاً، وقراءةً، وفهماً، وعملاً!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الوقفة السابعة

وقال ربكم ادعوني أستجبْ لكم!!

لقد دعانا ربنا البرُّ الرحيم إلى أن ندعوه، دون أن يقيّد لنا ذلك بوقتٍ أو صيغةٍ أو حاجة من حوائجنا التي لا إثم فيها: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(٤٢). وهذا كرمٌ لا يليق إلا بالرب الخالق الكريم الرحيم!

فاللهم كما خلقتنا من العدم ودعوتنا لسؤالك وفقْنا لأَن نسألك سؤال الصادقين الخاشعين المخبتين.

اللهم وفقنا لإجابة دعوتك الكريمة، يا أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين!

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾(٤٣).

إنه ليس من حق مخلوق أن يعاقب من لم يُلَبِّ دعوته.

ولكن اللّه الخالق يعاقِبُ من لم يُلَبِّ دعوته.

وهذه هي الدعوة التي هي لصالح المدعوّ فقط، ولا مصلحة فيها للداعي، ومع ذلك فإن من لم يستجب يستحق العقاب من الرب القادر سبحانه!

وإنّ مجرّد الحرمان من قبول هذه الدعوة الكريمة التي مائدتها: الجنة، ورضوان اللّه، والنظر إلى اللّه الخالق سبحانه، والارتواء من حوض نبينا محمد ﷺ، إن هذا وحده هو أعظمُ عقوبةٍ يواجهها الإنسان.

أخرج الإمام البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد اللّه رضي اللّه

(٤٢) ٦٠: غافر: ٤٠.
(٤٣) ٦٠: غافر: ٤٠.

عنهما قال: جاءت ملائكةٌ إلى النبيِّ ﷺ وهو نائم، فقال بعضهم: إنه نائم. وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان، فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً، فاضربوا له مثلاً. فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان. فقالوا: مثله كمثل رجلٍ بَنَى داراً وجعل فيها مأدُبةً وبَعَثَ داعياً، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة، ومن لم يُجِب الداعي لم يدخل الدار، ولم يأكل من المأدبة.

فقالوا: أوّلوها له يَفْقَهْها. فقال بعضهم: إنه نائم. وقال بعضهم: إن العين نائمة والقلب يقظان.

فقالوا: فالدار: الجنة، والداعي: محمد ﷺ، فمن أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً ﷺ فقد عصى الله، ومحمدٌ فرق بين الناس)[٤٤].

إنّ عدم دخول الجنة والظفر بمأدُبة الله عقوبةٌ لا يُطيقها الإنسان!

فكيف والحال أنه يُدْخَلُ النارَ أيضاً مُهاناً ذليلاً صاغراً؛ لأنه ما قَبِلَ دعوة الملك العزيز سبحانه؟

﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾[٤٥].

وفي الحديث عند الإمام البخاري، عن أبي هريرة ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: (كلُّ أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى، قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: مَنْ أطاعني دخل الجنة، ومَنْ عصاني فقد أبى)[٤٦].

وصاحب المأدبة هو الله الرب الكريم، وأما النبي ﷺ فما هو إلا بشير ونذير ورسولٌ من عند الله.

---

(٤٤) البخاري، ٧٢٨١، الاعتصام.

(٤٥) ٦٠: غافر: ٤٠.

(٤٦) البخاري: ٧٢٨٠: الاعتصام.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يا أخي إن للجنة داعيةً ودعاةً ورِثوه في هذه الدعوة فأجبْه وأجبْهم تكن معه ومعهم!

وإن للنار داعيةً ودعاةً يشاركونه في دعوته فلا تُجبْه ولا تُجبْهم؛ لئلاّ تكون معهم!

قال الله عزّ وجل عن رسوله محمد ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾(٤٧).

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾(٤٨).

وقال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ﴾(٤٩).

فأجبْ هؤلاء يا أخي!

وقال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾(٥٠).

فلا تُجبْ هؤلاء وأمثالَهم يا أخي!! إنهم يَقْذفون بك إلى النار!

يا أخي إن مَنّ يريد أن يُلَبّي الدعوة يتهيّأ لها، ثم يتأدب بما يناسب صاحب الدعوة، وما يليق به من الأدب.

فهل قَبِلْتَ دعوة الله؟

وهل تهيأتَ لها؟

وهل تأدبتَ بالأدب اللائق بك مع خالقك ومولاك؟

هما دعوتان؛ فلابدّ من إجابة إحداهما:

---

(٤٧) ٥٢: الشورى: ٤٢.

(٤٨) ٦: فاطر: ٣٥.

(٤٩) ٧٣: الأنبياء: ٢١.

(٥٠) ٤١: القصص: ٢٨.

دعوة الله، ودعوة الشيطان!

المغفرة والجنة دار السلام!

والنار وسخط الجبّار!

﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾(٥١).

ولماذا لا تستجيب لله؟

ولماذا لا تتوجه إلى الله بالدعاء؟

إن للدعاء شأناً في حياتك أيها العبد الضعيف المخلوق!

أنت ضعيفٌ عاجز فادع القويّ وسَلْه حاجتك.

أنت ذليلٌ فادع العزيز وسَلْه حاجتك.

أنت فقيرٌ فادع الغنيَّ وسَلْه حاجتك.

أنت جاهلٌ فأنزل حاجتك باب العليم الخبير.

أنت صاحبُ حاجة فاطلبها ممن دعاك لقضائها.

إن توجّهك إلى الله **بالدعاء** استجابةٌ لدعوة الله لك، بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ...﴾(٥٢).

والتوجه إلى الله هو دعاءٌ له وعبادةٌ، ومِن صُوَر التوجه إليه سبحانه: إقامة الصلاة، وسؤال الله سؤال المخبتين.

وحضورُ القلب من أهم أسباب قبول الصلاة واستجابة الدعاء.

ولعل مِن أهمّ طرق تحصيل الخشوع في الصلاة وإدراك الغاية المهمة المقصودة من الصلاة -وهي أن يَعْقل الإنسانُ صلاته- أن يُعْنى المصلّي بتنويع الأذكار في الصلاة، والمراوحة بين الأذكار المشروعة والأذكار المأثورة، فلا يلازِم صيغةً واحدة في الدعاء، وأنْ ينظر في الأدعية والأذكار المأثورة في استفتاح الصلاة، ويحاول أن يأخذ بهذه

(٥١) ٢٥: يونس: ١٠.

(٥٢) ٦٠: غافر: ٤٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الصيغة مرةً، وبتلك الصيغة مرةً، وهكذا بالنسبة للركوع، والرفع منه، والسجود، وبين السجدتين، وبعد التشهد... إلخ، وبهذا التنويع مع التدبرِ، واستشعارِ المرء أنه يناجي ربه، يَحْصل للمصلي الخشوعُ ويعقل صلاته بإذن الله تعالى.

أما الالتزام بصيغةٍ واحدة من الأدعية والأذكار فإنه قد يتحوّل عند المصلي إلى ألفاظٍ يقولها دون تدبر أو تفكير حتى إنه قد يقولها بسرعة حيث تجري على لسانه بحكم العادة لا بحكم العبادة، وبحكم إرادة الإتيان بالألفاظ، لا المناجاة للخالق الكريم سبحانه!

وكيف يتدبر مِثلُ هذا؟!، وكيف يَعْقل مثلُ هذا صلاته؟

أمّا المراوحة بين الصيغ والمعاني المتعددة فإنها قد تدعو المصليَ إلى التفكير في تلك الصيغ والتأمل فيها. ولعل هذا من الحِكم في كثرة صِيَغ الأذكار والأدعية المأثورة. ولعل هذا سرٌّ من أسرار جواز أن يدعو الإنسان بالدعاء المأثور وغير المأثور خارج الصلاة وفي مواضعَ مِن الصلاة، ولاسيما أنّ حاجات الإنسان تتعدد، وقد دعانا ربنا البرّ الرحيم إلى أن ندعوه، دون أنّ يُقيّد لنا ذلك بوقتٍ أو صيغةٍ أو حاجةٍ من حوائجنا التي لا إثم فيها: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾(٥٣).

وهذا كرمٌ لا يليق إلا بالرب والخالق الكريم الرحيم.

فاللهم كما خلقتنا من العدم ودعوتنا لسؤالك وفقْنا لأَنْ نسألك سؤال الصادقين الخاشعين المخبتين، اللهم وفقنا لإجابة دعوتك الكريمة، يا أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين.

(٥٣) ٦٠: غافر: ٤٠.

الوقفة الثامنة

يا قارئ القرآن!

يا قارئ القرآن قرأتَ الألفاظ فهل قرأت المعاني؟

يا حافظ القرآن حفظتَ ألفاظَه فهل حفظتَ معانيَه؟

يا قارئ القرآن قرأتَ كتاب اللّه فهل عملت به، وهل اهتديت به في حياتك كلها في أقوالك، وأعمالك، واعتقاداتك، وأحوالك؟

يا حافظ القرآن حفظتَ كتاب اللّه تعالى؛ فهل عملتَ به، وهل اهتديت به في حياتك كلها: في أقوالك، وأعمالك، واعتقاداتك، وأحوالك؟

أتعلم أيها الأخ العزيز لماذا أَنزل اللّه كتابه؟!، ولماذا أَمر بقراءته؟! إنه سبحانه ما أنزله وما أَمر بقراءته إلا لتدبره، وما أَمر بتدبره إلا لنهتدي به ونعمل به ونحتكم إليه ونحكِّمه في شؤون حياتنا كلها!

فهل نحن فاعلون؟

احذرْ يا قارئ القرآن أن تكون ممن يُقابِلُ الناس بوجهٍ كأنه جِلْدُ ميتةٍ غير مدبوغ، لا حياء فيه ولا مروءة!!، يستكبر بآيات اللّه التي توجب التواضع، ويستعلي على الناس ويَكفهِرُّ في وجوههم، لأن اللّه تعالى أكرمه بحفظ كتابه، ومكّنه من قراءته بصوتٍ ربما أثر في الناس، فأيّ شكرٍ هذا على نعم اللّه سبحانه؟

وأي انتفاعٍ هذا بالقرآن؟ وأي استخدامٍ هذا للقرآن فيما جعله اللّه له!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إنّ هذا الكتاب هو كلام الله تعالى! إنه كتابُ هداية؛ فَمَنْ حفظه، أو أُوتي شيئاً من العلم به، ثم لم يهتدِ به؛ فما صَنَع شيئاً، وإنما أقام الحجةَ لله عليه!

فاللهم اهدنا بهداك، وانفعنا بكتابك، واجعلْه حجةً لنا، لا حجةً علينا، يا الله!

الوقفة التاسعة

تَذكُّرُ أَمْرِ اللهِ بِتِلاوَةِ القُرْآنِ الْكَرِيْمِ

وردَ في القرآن الكريم أمرُ اللّه بقراءته وبتلاوته، بأساليب متعددة.

وبتذكُّرِ أَمْرِ اللّه هذا يُدْرِكُ المسلمُ والمسلمةُ أَنَّ أمْرَ اللّهِ قد صَدَرَ، وأنَّ الواجبَ هُو الامْتِثالُ.

وينبغِي حصْر الآيات الواردة في الأمر بتلاوة القرآن بمختلف ألفاظها، وتَدَبُّرُها، ومعرِفَةُ هِدايَاتِها.

ومِن هذه الآيات:

-قوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا﴾(٥٤).

-وقوله تعالى: ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾(٥٥).

-وقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ ۚ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾(٥٦).

-وقوله: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(٥٧).

---

(٥٤) ٢٧: الكهف: ١٨.

(٥٥) ٤٥: العنكبوت: ٢٩.

(٥٦) ٣٠: الرعد: ١٣.

(٥٧) ١٦: يونس: ١٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

-وقوله: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾(٥٨).

-وقوله: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾(٥٩).

-وقوله سبحانه: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾(٦٠).

-وقوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبۡعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِنَاۚ وَمَا كُنَّا مُهۡلِكِي ٱلۡقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهۡلُهَا ظَٰلِمُونَ﴾(٦١).

-وقوله سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾(٦٢).

-وقوله سبحانه: ﴿رَّسُولٗا يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ قَدۡ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزۡقٗا﴾(٦٣).

-وقوله سبحانه: ﴿رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ﴾(٦٤).

وهذه الآياتُ السابق ذِكْرُها، تنتهي إلى الأمر بتلاوةِ القرآن الكريم، ولله تعالى الحِكمة البالغة في هذا التوجيه الإلهي.

---

(٥٨) ١٢٩: البقرة: ٢.
(٥٩) ١٥١: البقرة: ٢.
(٦٠) ١٦٤: آل عمران: ٣.
(٦١) ٥٩: القصص: ٢٨.
(٦٢) ٢: الجمعة: ٦٢.
(٦٣) ١١: الطلاق: ٦٥.
(٦٤) ٢: البينة: ٩٨.

إنّه تلاوَةُ كتابِ اللّه.

إنّه تَلَقّي تعليماتِ اللّه وتوجيهاته للبشَرِيَّةِ عن طريقِ تلاوةِ كلامه.

إنَّه تربيةُ النَّفْسِ وتعويدُها على استعذابِ كلامِ اللّه، واستحلائه.

فما أجْمَلَ أنْ تَتْلُوَ كِتابَ اللّه، يا عبدَ اللّه، ويا أمَةَ اللّهِ!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الوقفة العاشرة

أدبُ الرحمن في مخاطبة الإنسان

يُمْكن لقارئ الكتاب العزيز أن يتأمل فيه أَدبَ الله تعالى في مخاطبته الإنسان، فما أروعَهُ من أُسلوب! وما أعظمه من أَدبٍ!

- تأملْ أدب الله تعالى في كتابه في أسلوب دعوة عباده لفرائضه وأوامره، انظر مثلاً الآيات في سورة البقرة عن فريضة الصيام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ...﴾[٦٥] وانظر في السورة نفسها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ ...﴾[٦٦] ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡ...﴾[٦٧] ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ...﴾[٦٨]؛ فانظر كيف قال سبحانه: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ﴾، ولم يَقلْ: كتبتُ عليكم، أو: فَرضتُ عليكم يا عبيدي! يا لله ما أروع هذا الأسلوب! وما أَجملَهُ! وما أَشدَّ تأثيره في النفوس!
- تأملْ نداءاتِ الله تعالى في خطابه لعباده من الإنس والجن، ودلالتها على رحمته سبحانه ولطفه بعباده، وواجبنا تُجاهها.
- تأملْ حَنانَ الرحمن في أُسلوب دعوته لنا!
- إنّ مما يَلْفِتُ النظرَ أسلوبَ الرحمن في دعوته عباده إليه، وإلى جنته، وإلى رحمته، وإلى رضاه، وإلى هدايته، وتنوُّع ذلك الأسلوب، حتى إنه دعانا سبحانه بكل سبيلٍ، وأقام علينا الحجة ببيان كل دليل،

(٦٥) ١٨٣: البقرة: ٢.
(٦٦) ١٧٨: البقرة: ٢.
(٦٧) ٢١٦: البقرة: ٢.
(٦٨) ١٨٠: البقرة: ٢.

حتى لم يَبْق في الأمر إلا طاعة الطائعين وعناد المعاندين!

انظر مثلاً:

١- أساليب التعبير في كتابه وتَحَنُّنه وأدبه وتلطُّفه بعباده، وهو الغنيّ عنهم، وهم الفقراء إليه؛ فلا تنفعه طاعتهم، ولا تضره معصيتهم. ومَنْ تتبع القرآن الكريم عَرَفَ هذه الحقيقة.

ومن الأمثلة على هذا قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخْسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِى تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾[٦٩].

فمما يلفت النظرَ في هذا الأسلوب في تحذير عباده سبحانه، وفي دعوتهم إليه، خاتمةُ الآيات: ﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾﴾؛ فإن هذه العبارة قد جاءت في مقام تخويف عباده منه ومن عقوبته، على إعراضهم عنه سبحانه، فهو، عزَّ وجل، حتى في هذا المقام يؤكد لهم أنه ربنا، وأنه رؤوف رحيم، وذلك بدلاً من أن يقول: إنه شديد العقاب، مثلاً.

ومن الأمثلة على هذا، كذلك، قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾﴾[٧٠].

وفي هذا الأسلوب المحبَّب ما يلي:

---

(٦٩) ٤٥-٤٧: النحل: ١٦.

(٧٠) ١٨٣-١٨٦: البقرة: ٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

✓- النداء بالإيمان ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

✓- التعبير بـ﴿كُتِبَ﴾ بدلاً من (فُرِضَ)، ثم اختيار صيغة البناء للمفعول بدلاً من صيغة البناء للفاعل.

✓-التأنيس بأن الصيام سنّةٌ ماضيةٌ في السابقين: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾.

✓- ذكْر الحكمة: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

✓- بيان أنه سَهْلٌ مُطاق: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ﴾.

✓- بيان أن الله خفف على المريض والمسافر بإباحة الفطر لهما، وقضائه في أيامٍ أُخر.

✓- ختم الكلام ببيان مراد الله من هذا التشريع، وأنه لا يريد إلحاق الضرر بنا: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾.

فأي لطفٍ أعظم من هذا، مع أن المتكلم هو الله رب العالمين، والمتَّجه له الخطاب هم عبيده سبحانه!

ومن الأمثلة على هذا أساليب النداء الإلهي للناس، بقوله: ﴿يَٰعِبَادِيَ﴾، مثلُ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾(٧١). وقوله: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّٰىَ فَٱعْبُدُونِ﴾(٧٢). وقوله: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾(٧٣)، وغيرها من الآيات.

ومن الأمثلة على ذلك، أيضاً، الآيات التي اشتملت على بيان لطف الله بعباده، مثل قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ

(٧١) ٥٣: الزمر: ٣٩.
(٧٢) ٥٦: العنكبوت: ٢٩.
(٧٣) ٦٨: الزخرف: ٤٣.

ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ﴾(٧٤).

٢- إيضاح الحق والخير الذي دعانا إليه سبحانه، إيضاحاً تقوم به الحجة على الخلق، ولا تثبت معه أي شُبْهة...

٣- ومن إيضاحه العجيب لِما يدعونا إليه عز وجل، أنه أَرَى بعض عباده كيف يُحْيي ويُميتُ، في صورةٍ عمليةٍ عجيبة... فهل شيء أعظم من هذا في البيان وفي الدعوة؟

ومن أمثلة هذا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٧٥).

ومن الأمثلة على هذا أيضاً ما ذَكَره سبحانه في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(٧٦).

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَأْتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾(٧٧).

٤- ومن هذا الإيضاحِ: القصصُ التي قصها الله عزّ وجل علينا في

(٧٤) ١٩: الشورى: ٤٢.
(٧٥) ٢٦٠: البقرة: ٢.
(٧٦) ٢٥٩: البقرة: ٢.
(٧٧) ٧٢-٧٣: البقرة: ٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كتابه، وكثرتها، وأساليبها. وهل أعظمُ مِن أن يَقص الله عليك القصص لتهتدي؟

أتدري كم قصةً قَصَّ الله عليك في كتابه!

إنها:

- قصة نبي الله إبراهيم مع أبيه وقومه(٧٨).
- قصة نبي الله نوح مع قومه وابنه(٧٩).
- قصة نبي الله لوط مع قومه(٨٠).
- قصة نبي الله شعيب مع قومه(٨١).
- قصة نبي الله صالح مع قومه(٨٢).
- قصة نبي الله هود مع قومه(٨٣).
- قصة نبي الله عيسى مع قومه(٨٤).
- قصة نبي الله موسى مع قومه(٨٥).
- قصة مريم عليها السلام(٨٦).
- قصة لقمان مع ابنه(٨٧).

---

(٧٨) يُنظر مثلاً: ٤١ -٤٨: مريم: ١٩، و٥١-٧٠: الأنبياء: ٢١، و٨٣-٩٩: الصافات: ٣٧.

(٧٩) يُنظر مثلاً: ٢٥-٤١: هود: ١١، و١٠٥-١٢٢: الشعراء: ٢٦، و١-٢٨: نوح: ٧١.

(٨٠) يُنظر مثلاً: ٧٧-٨٣: هود: ١١، و٥٧-٧٧: الحجر: ١٥، و١٦١-١٧٥: الشعراء: ٢٦، و٣٠-٣٥: العنكبوت: ٢٩.

(٨١) يُنظر مثلاً: ٨٥-٩٦: الأعراف: ٧.

(٨٢) يُنظر مثلاً: ٧٣-٧٩: الأعراف: ٧، و١٤١-١٥٩: الشعراء: ٢٦.

(٨٣) يُنظر مثلاً: ٦٥-٧٢: الأعراف: ٧، و٥٠-٦٠: هود: ١١، و٣١-٤١: المؤمنون: ٢٣، و١٢٣-١٤٠: الشعراء: ٢٦.

(٨٤) يُنظر مثلاً: ٣٣-٦٣، آل عمران: ٣.

(٨٥) يُنظر مثلاً: ١٠٣-١٦٣: الأعراف: ٧، و٩-٩٨: طه: ٢٠.

(٨٦) يُنظر مثلاً الآيات: ٣٥-٤٥: آل عمران: ٣، و١٦-٣٤: مريم: ١٩.

(٨٧) يُنظر مثلاً: ١٢-١٩: لقمان: ٣١.

- قصة قارون[٨٨].
- قصة يونس مع قومه[٨٩].
- قصة نبي الله يوسف مع إخوته ومع العزيز وامرأته[٩٠].
- قصة بني إسرائيل والبقرة[٩١].
- قصة نبينا محمد ﷺ مع قومه[٩٢].
- قصة هاروت وماروت[٩٣].
- قصة نبي الله داود[٩٤].
- قصة نبي الله سليمان، وما جرى له من القصص، مثلُ: ما جرى له مع الهدهد، وما جرى له مع النملة، ... إلخ[٩٥].
- قصة نبي الله آدم[٩٦].
- قصة ابنَيْ آدم: (قابيل وهابيل) [٩٧].
- قصة نبي الله زكريا[٩٨].
- قصة نبي الله يحيى[٩٩].

---

(٨٨) يُنظر مثلاً: ٧٦-٨٣: القصص: ٢٨، و٣٩-٤٠: العنكبوت: ٢٩، و٢٣-٢٤: غافر: ٤٠.

(٨٩) يُنظر مثلاً: ٩٨: يونس: ١٠، و٨٧-٨٨: الأنبياء: ٢١، و١٣٩-١٤٨: الصافات: ٣٧، و٤٨-٥٠: القلم: ٦٨.

(٩٠) يُنظر: سورة يوسف.

(٩١) يُنظر مثلاً: ٦٧-٧٣: البقرة: ٢.

(٩٢) يُنظر: ما تكرر بشأنه من الآيات الكثيرة في المصحف، ومنها: ٣٠: الأنفال: ٨، و٣٠-٣٢: الطور: ٥٢.

(٩٣) يُنظر مثلاً: ١٠٢: البقرة: ٢.

(٩٤) يُنظر مثلاً: ٢٥١: البقرة: ٢، و٧٨-٧٩: الأنبياء: ٢١، و١٧-٣٣: ص: ٣٨، وغيرها كثير.

(٩٥) يُنظر مثلاً: ١٥-٤٥: النمل: ٢٧، وغيرها كثير.

(٩٦) يُنظر مثلاً: ٣٠-٣٩: البقرة: ٢، و٢٦-٢٧: الأعراف: ٧، وغيرها كثير.

(٩٧) يُنظر مثلاً: ٢٧-٣١: المائدة: ٥.

(٩٨) يُنظر مثلاً: ٣٧-٤١: آل عمران: ٣، و٢-١١: مريم: ١٩، و٨٩-٩٠: الأنبياء: ٢١، وغيرها.

(٩٩) يُنظر مثلاً: ٣٩-٤١: آل عمران: ٣، و٧-١٥: مريم: ١٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- قصة مائدة بني إسرائيل(١٠٠).
- قصة أصحاب الكهف(١٠١).
- قصة أم موسى وأخته(١٠٢).
- قصة امرأة فرعون(١٠٣).
- قصة أهل سبأ(١٠٤).
- قصة التي تجادل في زوجها(١٠٥).
- قصة الجن وسماعهم للقرآن(١٠٦).
- قصة أصحاب الفيل(١٠٧).
- قصة يأجوج ومأجوج(١٠٨).
- قصة مؤمن آل فرعون(١٠٩).
- قصة العبد الصالح مع موسى(١١٠).
- قصة ذي القرنين(١١١).
- قصة أصحاب الجنة(١١٢).

---

(١٠٠) يُنظر: ١١٢-١١٥: المائدة: ٥.
(١٠١) يُنظر: ٩-٢٧: الكهف: ١٨.
(١٠٢) يُنظر: ٧ وما بعدها: القصص: ٢٨.
(١٠٣) يُنظر: ١١: التحريم: ٦٦.
(١٠٤) يُنظر مثلاً: ٢٢-٤٤: النمل: ٢٧، و١٥-٢١: سبأ: ٣٤.
(١٠٥) يُنظر: أول سورة المجادلة.
(١٠٦) يُنظر: أول سورة الجن.
(١٠٧) يُنظر: سورة الفيل.
(١٠٨) يُنظر: ٨٣-١٠١: الكهف: ١٨.
(١٠٩) يُنظر: ٢٨-٤٦: غافر: ٤٠.
(١١٠) يُنظر: ٦٠-٨٢: الكهف: ١٨.
(١١١) يُنظر: ٨٣-١٠١: الكهف: ١٨.
(١١٢) يُنظر: ١٧-٣٣: القلم: ٦٨.

- قصة أبي لهب مع امرأته[١١٣]. على أنها لم تَرِد فيه مفصّلة، وإنما إشارة.
- قصة أصحاب الأخدود[١١٤].
- قصة كل نبي مع قومه مما ذكره اللّه في الكتاب العزيز، وقد ذكر نحو ٢٥ نبياً[١١٥].

وما أَشَرتُ إليه من هذه القصص ليس المراد به الحصرُ لقصص القرآن الكريم، بل هي أكثر من ذلك.

وما مِن شكٍّ أنّ في قصص القرآن الكريم دروساً عظيمةً، وتوجيهاتٍ ربَّانيةً؛ وهذا من مقاصد حكاية اللّه تعالى لها في كتابه.

على أنّ اللّهَ نَبَّهَ في الكتاب العزيز على حِكَمِ إيراده هذه القصص، من مثل قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[١١٦].

ومِن الواجب على المسلم والمسلمة العنايةُ بمقاصد سَوقِ اللّه هذه القصص المتنوعة العجيبة، والاهتمام بها في ضمن عملية التدبُّر في القراءة.

(١١٣) يُنظر: سورة اللهب.
(١١٤) يُنظر: سورة البروج.
(١١٥) انظر لفظ: (قصص) وكذلك أسماء الأنبياء، لمعرفة ما ورد عنهم في القرآن الكريم، في: المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم، لمحمد بسام رشدي الزين.
(١١٦) ١٢٠: هود: ١١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الثاني
لَفَتاتٌ في طُرُقِ تدبّر القرآن ووسائلِه

اللفتة الأولى
أمورٌ أساسية يتوقف عليها تدبّر القرآن

يتوقف تدبّر القارئ للقرآن الكريم على أمورٍ كثيرة، منها: أربعة أمور، هي:

١- الإقبال على القراءة بالعقل والقلب؛ خضوعاً وتعبّداً لله تعالى، فإنّ من لا يُمرِّ الآيات على عقله وقلبه، لا يمكنه أن ينتفع بقراءة القرآن الكريم.

٢- معرفة القارئ لدلالة الألفاظ، والأساليب، التي يقرؤها في هذا الكلام.

٣- معرفة القارئ بالمتكلم، وبعَظَمَته وقدْرَته وصدْقه سبحانه، وأن قوله الحق. إنّ من المهم في تدبر القرآن: أن يُقرأ هذا القرآن في إطار اعتقاد أنه حق، وأنه ينبغي قراءته بهذا المعنى وبهذا اليقين؛ فحاسبْ نفسَك على مثل هذا.

٤- محاسبة النفس على أوامر القرآن، مثل: وَجَل القلوب من ذكر الله، والطمع في ثواب الله تعالى، والخوف من غضبِهِ-سبحانه-وعقابه ...إلى آخر ما هنالك.

فإذا ما أردتَ الحصول على تدبّرِ كلام الله تعالى، فعليك قراءته وأنت محاسبٌ نفسك على هذه المعاني.

اللفتة الثانية

تجربةٌ في قراءة القرآن وتدبُّره

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(١١٧).

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾(١١٨).

سأذْكُر في الموضوعات القادمة بعضَ نتائجِ تجربةٍ مررتُ بها في تدبُّر القرآن الكريم، وذلك تحت عناوين متعدّدةٍ عن: خطوات التدبر، وطُرُقه، وأسباب فقهه...إلى آخر العناوين الآتية.

- لقد تبين لي أن قراءة التدبر للكتاب العزيز، شيء آخر غير قراءة السَّرْدِ.
- استخدمتُ قراءةَ التأمل والورقة والقلم؛ لتسجيل الملحوظات، ونتائج التأمل للآيات...، فشعرتُ بما لم أَشعر به في قراءاتي من قبل، وأحسست بآفاقٍ أُخرى.. فما أعظمَ هذا الكتاب الكريم!! وما أحسنَ هذه الطريقةَ للعناية بفقه القرآن!
- يتجدّد القرآن بتجدّد تدبُّره، سواء أكان المتدبر شخصاً واحداً، أم أشخاصاً متعددين. ولا يَخْلق القرآنُ على كثرة الردّ.
- ومِن هنا فإنه ينبغي للإنسان تدبّر كتاب الله، ورصْد عملية التدبر هذه ونتائجها؛ كي لا تضيع سُدى، ولاسيما إذا كان من المشتغلين بالعلم المتأهلين للفقه عن الله تعالى ورسوله ﷺ،

(١١٧) ٣: الزخرف: ٤٣.

(١١٨) ١١٣: طه: ٢٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القادرين على الاستنباط للأحكام والحِكم من كلام الله وحديث رسوله ﷺ.

- مَنْ تأهل للفهم والاستنباط من النصوص، وأَخذَ عند قراءته للقرآن بالأمور السابقة، نفعَهُ ذلك جدّاً، وفَتَحَ الله عليه فقهاً سديداً بسببها.
- من المهم استخدام الورقة والقلم لتسجيل: الملاحظاتِ، والتساؤلاتِ، ونتيجةِ التدبر.
- وهذا الكتاب عن التدبر، إنما هو ثمرةُ تلك التجربة؛ حيث جَمَعتُ جُلَّ ما كتبتُهُ عن الآيات، وعن القرآن في أثناء هذه القراءة المتدبرة؛ فمنها جاء غالب هذا الكتاب.
- ينبغي ونحن نقرأ آيات الله المبينات، أن تَفيض أعيننا من الدمع مما نعرف من الحق، لو عقلَتْ قلوبنا.. فإنْ قَرَأنا القرآن ولم نَبْكِ لذلك؛ فلْنبْكِ من عَدَمِ بكائنا من كلام الله الخالق العليم الخبير الحكيم سبحانه!

اللفتة الثالثة

خطوات تدبّر القرآن والعمل به

يَمُرُّ تدبُّر القرآن والعملُ به بالخطوات الآتية:

١- تعلّمُ قراءته قراءة صحيحة.

٢- تفهّمُ معانيه.

٣- العمل به وتطبيقه في الحياة.

٤- حفظُه واستظهاره.

وتدبّر القرآن والعمل به، يجب أن يَكُونا الهدفَ من وراء تعلُّمه وقراءته وحفظه -على أن التدبر وسيلة أيضاً للفهم-.

ويتوقف العمل بالقرآن وتطبيقه على فهمه فهماً صحيحاً.

وفهمُهُ فهماً صحيحاً يتوقف على أمرين هما:

١- قراءته قراءة صحيحة.

٢- تدبُّره.

والتدبر ينبغي أن يقارِن القراءة؛ فتَكُون القراءة بتدبرٍ وفهم.

وتدبرُ القرآن قد يمرُّ بثلاثِ مراحل، أو ثلاثِ خطوات هي:

١- معرفة معاني الكلمات والألفاظ ودلالاتها.

٢- معرفة معاني الجُمَلِ والتراكيب والمعاني الإجمالية للآيات.

٣- معرفة دلالة الأساليب.

وينبغي أن تَستهدف كلٌّ من هذه المراحل معرفةَ معاني القرآن ومقاصده، وبذلك نتعرف على الهدايات التي يَحْمِلُها القرآن في ثنايا كلماته وأساليبه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولا يكفي اتّباع هذه الخطوات؛ لتحقيق الهدف المنشود من قراءة القرآن والعناية به، فقد يتّبع شخصٌ ما هذه الخطوات، ومع ذلك لا يَحْصل على الغاية المنشودة؛ لأن هناك أموراً أخرى، علينا أن نراعيها أيضاً ونُدْرك أهميتها.

ومن تلك الأمور -مثلاً-: القناعة بأنه لا يكفي في تدبّر القرآن، أن يطالِعَ المرءُ تفسير الكلمات، والألفاظ، والأساليب، ويعرف المراد بها، بل لابدّ من أن ينضمّ إلى معرفة تفسير القرآن ومعانيه: الإحساس والإيمان العميقان بأن هذا الكلام كلام اللّه تعالى، أما معرفة التفسير وحدها، فإنها قد لا تَنْقُل الإنسان إلى الإيمان المطلوب، ما لم يكن ذلك التفسير في إطار هذا الإحساس العميق، بأن الكلام كلام اللّه، وأن القارئ والمستمع والمفسر يتعبدون اللّه بكلامه سبحانه.

وينبغي للقارئ والمتدبر، كذلك، أن يتعرف على خصائص كلام اللّه، وما تميَّزَ به عن سِواه، وأن يتعرّف على أوجه الإعجاز، العجيبة في هذا الكتاب الكريم.

نسأل اللّه تعالى أن ينفعنا والمسلمين بقراءة آياته، ويهدينا سواء السبيل.

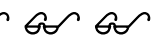

اللفتة الرابعة

أسباب فهم القرآن وطُرُق تدبّره تدبراً سليماً

لفهم القرآن ولتدبُّرِه أسبابٌ وطُرُقٌ صحيحة؛ ينبغي للمسلم والمسلمة الأخذ بها. ومن ذلك ما يلي:

- التقوى. ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾(١١٩).
- الإخلاص (إنما الأعمال بالنيات)(١٢٠).
- توافرُ الرغبة في تدبر القرآن، وفي فهمِ معانيه، والعناية بذلك أكثر من العناية بالانتهاء من قراءة الآية، أو السورة، أو المصحف.
- التأني وعدم السرعة.
- استحضار القارئ -في أثناء القراءة- أنه إنما يقرأ كلام الله تعالى، ويقرأ خطاب الله إليه، وإلى سائر الناس. وهذه مسألة تحتاج إلى أن يدرِّب القارئ عليها نفسه. وهي من أعظم دلائل الوصول إلى مرحلة التدبر في القراءة.
- القراءة الصحيحة الواضحة المطابقة للمصحف الشريف.
- التفكير في معنى ألفاظ الآيات ومفرداتها.
- التفكير في معنى أساليب الآيات في التعبير عن الأحكام والحِكم.
- التنبه إلى الوقوف عند ما مدحه الله من الصفات والأفعال... وسبب مدحه إياها، ووجْه مدْحه إياها، والإفادة من ذلك في حياة القارئ، كالصدق، والأمانة، والوفاء بالنذر، وغير ذلك. وكذا بالنسبة لِمَا

(١١٩) ٢٨٢: البقرة: ٢.

(١٢٠) البخاري، ٥٤، الإيمان، و٢٥٢٩، العتق، وأخرجه في مواضع أخرى، وأخرجه مسلم أيضاً.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ذمّه الله تعالى في كتابه: من الصفات، والأفعال، والأشخاص، كالكذب، والنميمة، والغدر، والإفساد.

- مراعاة أحكام الوقف والابتداء في الآيات، بما يتطابق مع معاني القرآن. والتفصيل في القراءة، أو العناية بقراءة الآيات جملةً جملةً، وذلك حسب المعاني.
- تحصيل القدْر الذي لابدّ منه من التجويد وأحكامه، وذلك لكون قراءة القرآن به، هي الوسيلة لمُوافَقة قراءة القارئ للرواية عن رسول الله ﷺ، ولكونه من أهم ما تتضح به معاني القرآن؛ لما يتحقق بالتجويد من وضوحٍ وبيانٍ، وربْطٍ للسامع بالقرآن ومعانيه.
- تحصيل القدْر اللازم من اللغة العربية وعلومها؛ لفهم كلام العرب وفهم القرآن الكريم.
- الإلمام بما لابد منه من المصطلحات القرآنية، والاستعمالات القرآنية للغة ومفرداتها.
- الإلمام بما لابدّ منه من علوم القرآن، والإفادة منه في تدبّر القرآن وفهمه، ومن ذلك معرفة المكيّ والمدنيّ، والناسخ والمنسوخ، والخاص والعامّ، والمطلق والمقيَّد، إلى آخر علوم القرآن المهمة.
- العناية بأسباب نزول الآيات، مما يتوقف عليه فهم الآيات أحياناً.
- الرجوع إلى الأحاديث النبوية؛ لمعرفة ما وَرَدَ منها في موضوع الآية، أو الآيات المقروءة؛ ففي الأحاديث النبوية، ما يوضّح المراد بآيات القرآن.
- العودة إلى كتب التفسير الموثوق بها، ومراعاة تخصصاتها، ومناهجها، والتحقق من صحة ما يَرِد فيها من معلومات، أو تفسير، يَقِفُ عليه فيها.
- الاقتداء بالنبيِ ﷺ في طريقة قراءته وتفاعله مع كتاب الله تبارك وتعالى، فمثلاً: التَّرَسُّل، وسؤال الله عند آية الرحمة، والاستعاذة

باللّه عند ذكر العذاب[١٢١].

- محاولة الاستجابة لما تدعو إليه الآيات من الأحكام والحِكم، ولاسيما الاستجابة في الوقت، أي وقت القراءة، حسب الإمكان، والعزم على استكمال ما تحتاج الاستجابة له إلى وقتٍ أو جهدٍ لا يتسع لهما المقام. وهكذا، فإن من أهم مجالات تدبّرِ الكتاب العزيز: محاسبة النفس على ما يقرؤه المرء أو يسمعه من كتاب اللّه من تعاليمَ ومعانٍ.
- التأمل في معاني الآيات بصفةٍ عامّة.
- الحرص على تفرّغ الذهن من الصوارف النفسية، والمشاغل الأرضية عن تفهم كتاب اللّه، والانشغالُ به عن كل شُغلٍ.
- الاتصاف بصفات الإيمان، الموجبة لتوفيق اللّه لفهم كتابه، وللاستمساك به، والبعدُ عن المعاصي، الصارفة عن فهم كلام اللّه والاستمساك به؛ فقد اشتمل القرآن على عدد كبير من الآيات، التي توضح الصفات التي يَصْرف اللّهُ بسببها عن آياته مَن يتصف بها، ومن ذلك مثلاً: التكبر في الأرض بغير الحق، قال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾[١٢٢].
- الاستمساك بالمنهج السليم في تدبّر كلام اللّه وتفسيره والعمل به، ذلك المنهج المتمثل في منهج أهل السنة والجماعة. وإذا لم يتوافر للإنسان هذا المنهج؛ فإنه مهما تدبرّ القرآن فلن يَصِلَ إلى الغاية المطلوبة له، المكلَّفِ بها شرعاً، إلا بالعودة إلى هذا المنهج؛ لأن ما

(١٢١) ينظر: اللفتة السابعة، من هذا البحث.
(١٢٢) ١٤٦: الأعراف: ٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بُني على أساس باطل فهو باطل.

- التوجه إلى الله تعالى بالدعاء، وطلب الفهم عنه، والتوفيق إلى مرضاته، والتفقه في دينه، والإخلاص فيه.
- تكرار القراءة وتأمُّلُها.
- من الطرق المهمة لتدبر القرآن، والتعرف على أحكامه وحِكَمِه، جَمْع ما وردَ في القرآن كله في موضوعٍ ما، وتأمُّل دلالات النصوص، والنظر في دلالتها مفرّقة ومجتمعة.
- ومن ذلك أنْ تقرأ القرآن كله وأنت منشغل بموضوعٍ ما في القرآن، أكثر من سِواه من الموضوعات، فتنظر ما تمرّ به، أو يمرّ بك، في القرآن الكريم عن ذلك الموضوع.
- من المفيد كثيراً، أن تطالع تفسير السورة التي تريد حفظها قبل أن تحفظها؛ ليكون حفظك حفظاً لألفاظها ومعانيها وهداياتها، ولتستشعر تلك المعاني وأنت تحفظ الألفاظ، وليكون ذلك أدعى لسرعة حفظك لها وتثبيته.
- على قارئ القرآن الكريم أن يعلم أنه إنما يقرأ كلام الله تعالى، وأنه تنْزيلٌ من حكيم حميد، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ وأنْ يعلم أن كلَّ ما خطر للقارئ من خواطر، أو فَهِمَهُ من تصورات وأحكامٍ سيئة، فإنما أُتِيَ فيها من عند نفسه، أو من عند أحدٍ غير الله؛ ولا يُزيل ذلك الفهمَ السيءَ إلا العودةُ إلى الله تعالى، والأخذُ بكلامه على مراده تعالى!
- على القارئ للقرآن الكريم أن يَعْلم، أن كل كلامٍ فإنه يُمْكن أنْ يُساء فهمه، ويمكن أن تُنْسَجَ من حوله الشبهات والتأويلات، مهما بلغ ذلك الكلام من الدقة والإحكام، حتى لو كان كلام الله تبارك وتعالى؛ ولهذا قد حَكَى الله في كتابه كلام الْمُبْطِلين الأفّاكين

وشبهاتهم المزعومة حول كتاب رب العالمين، وفَنّدها؛ ليبقى كلام اللّه هو الحق والهدى والنور، السالم من كل نقصٍ أو خَلَلٍ.

فعلى القارئ أن يُدْرك هذه الحقيقة؛ فلا يَلتفت إلى ما قد يورده الشيطان وأولياؤه من شبهاتٍ حول كلام الباري سبحانه.

وعليه أن يكون هذا موقفه، أيضاً، مما قد يُلقيه الشيطان في نفسه، ويُورِدُه إلى ذهنه مِن هذا القبيل تُجاه حديث رسول اللّه ﷺ، أو يُلقيه تُجاه الإسلام بصفةٍ عامّة.

وعلى القارئ - انطلاقاً من هذه الحقيقة-أن يجتهد في معرفة القرآن الكريم، ومعرفة المراد بآياته، وهكذا الشأن بالنسبة لحديث رسول اللّه ﷺ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اللفتة الخامسة

مِن طُرُق التدبر، أيضاً

من الطرق المهمة لتدبّر القرآن الكريم- للتعرف على هداياته ومقاصده العامة-: طريقة الاستقراء لموضوعٍ ما، أو لفظةٍ ما، قد تناولها الكتاب العزيز، والتعرّف على طبيعة ما جاء عنها في ثنايا الكتاب الكريم كله، لفظاً أو معنى، واستخلاص المقاصد القرآنية تجاه هذا الموضوع أو اللفظ. وفيما يأتي مثال تطبيقي، روعي فيه اللفظ فقط.

فمثلاً:

لفظة "سبَّح" ومشتقاتها وردت في القرآن الكريم نحواً من تسعين مرة، في ألفاظٍ متعددة من مشتقات الكلمة، وفي مقامات متعددة، وفي أساليب متعددة.

وبإمكان المتدبر للقرآن الكريم أن يلاحظ كل ذلك؛ ليُدْرك اللفظ والمعنى، ويهتديَ بهدايات الكتاب العزيز، وإنّ المرء إذا استقرأ القرآن الكريم - على إيمانٍ ويقين، وإقبالٍ على الله تعالى- فلاحظَ، مثلاً، في لفظة "سبَّحَ" ومشتقاتها:

كم مرة وردت اللفظة في الكتاب العزيز؟

ما مشتقات الكلمة التي وردت في القرآن؟

وما الأساليب التي وردت فيها تلك الألفاظ ومشتقاتها؟

وما المقامات أو المعاني التي سِيقت لها تلك الألفاظ وتلك الأساليب؟

وما مؤدَّى إجابات هذه الأسئلة كلها؟

ولا شك في أن كثرة التكرار لشيءٍ ما في القرآن، يدلّ على العناية به، سواء كانت دعوةً إليه أو تحذيراً منه.

فهيّا بنا إلى القرآن الكريم؛ لِنتبَيّن ما اشتمل عليه عن لفظة "سبّح" ومشتقاتها، أو عن موضوع تسبيح الله وتنْزيهه وتقديسه سبحانه:

جاء ذِكْر التسبيح في القرآن الكريم -بالنظر إلى اللفظ فقط- نحو ٢٥ مرة.

وقد جاء التعبير في القرآن عن موضوع التسبيح بألفاظٍ وأساليب متعدّدة، فورد بصيغة الفعل الماضي (سبَّح)، وبصيغة المضارع (يُسبّح)، وبصيغة الأمر (سَبِّحْ)، وبصيغة (تسبيح)؛ ولكلٍّ مِن هذه الصِّيَغ دلالاتها، ثم يُضاف إلى ذلك الأساليب التي وُضعتْ فيها؛ فصيغة الماضي جاءت في مقام الإخبار عن مخلوقات الله كلها، بما فيها الجمادات والحيوانات، بأنها تُسبّح لله تعالى!

وصيغة الأمر جاءت للأمر الإلهيّ للرسول ﷺ، ولكل مَن يَصْدق عليه الخطاب، بأن يُسبّح لله، أو يسبِّح بحمد الله، أو يسبّح باسم الله!

ثم المناسبات التي وردَ فيها التسبيح بهذه الصيغة، أو تلك شيء آخر له دلالاته!

فيا لَجلال الأمر! ما أعظم هذا التسبيح ودلالاته ومقامه في الدين وفي الصلة برب العالمين!

نسأله تعالى أن يَرزقنا مقام تسبيحه لفظاً ومعنىً، ولِساناً وحالاً!

- ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(١٢٣).
- ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(١٢٤).
- ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾(١٢٥).
- ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا

(١٢٣) ١: الحديد: ٥٧.
(١٢٤) ١: الحشر: ٥٩.
(١٢٥) ١: الصف: ٦١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾(١٢٦).

﴿ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴾(١٢٧).

﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ﴾(١٢٨).

﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ ﴾(١٢٩).

﴿ أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِمَا يَفۡعَلُونَ ﴾(١٣٠).

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾(١٣١).

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡمَلِكِ ٱلۡقُدُّوسِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ﴾(١٣٢).

﴿ يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾(١٣٣).

﴿ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾(١٣٤).

﴿ قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمۡزٗاۗ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ كَثِيرٗا وَسَبِّحۡ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ ﴾(١٣٥).

---

(١٢٦) ٣٠: البقرة: ٢.
(١٢٧) ١٣: الرعد: ١٣.
(١٢٨) ٤٤: الإسراء: ١٧.
(١٢٩) ٣٦: النور: ٢٤.
(١٣٠) ٤١: النور: ٢٤.
(١٣١) ٢٤: الحشر: ٥٩.
(١٣٢) ١: الجمعة: ٦٢.
(١٣٣) ١: التغابن: ٦٤.
(١٣٤) ٩٨: الحجر: ١٥.
(١٣٥) ٤١: آل عمران: ٣.

- ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ غُرُوبِهَاۖ وَمِنۡ ءَانَآيِٕ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡ وَأَطۡرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرۡضَىٰ﴾(١٣٦).
- ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِهِۦۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾(١٣٧).
- ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾(١٣٨).
- ﴿فَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ﴾(١٣٩).
- ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ﴾(١٤٠).
- ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾(١٤١).
- ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾(١٤٢).
- ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى﴾(١٤٣).
- ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾(١٤٤).

(١٣٦) ١٣٠: طه: ٢٠.
(١٣٧) ٥٨: الفرقان: ٢٥.
(١٣٨) ٥٥: غافر: ٤٠.
(١٣٩) ٣٩: ق: ٥٠.
(١٤٠) ٤٨: الطور: ٥٢.
(١٤١) ٧٤ و٩٦: الواقعة: ٥٦.
(١٤٢) ٥٢: الحاقة: ٦٩.
(١٤٣) ١: الأعلى: ٨٧.
(١٤٤) ٣: النصر: ١١٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اللفتة السادسة
من أسباب استشكال النص

قد يرتبط الاستشكال لمعنى النص، أحياناً، بسببٍ قد لا يتنبه له الباحث والقارئ، وهو أن الإشكال ليس ناشئاً من النص، وإنما من قَصْر معناه على معنىً خطأً غيرِ مراد بالنصّ، وذلك لأسبابٍ متعددة، منها متابعةُ غيره في فهْمٍ غيرِ صحيحٍ حمَل عليه الآية، ومن ذلك أنْ يَحْمِل أحدُ العلماء الفضلاء -رحمهم الله تعالى- الآية أو الآيات على معنىً غير مرادٍ بها، من باب الخطأ الذي لم يُعْصَمْ منه عباد الله الصالحون، ولا العلماء المحققون، بحكم بشريّتهم؛ فيتابعه القارئ أو المتدبّر للنصّ الكريم على هذا الخطأ، دونَ مراجعةٍ أو تحقيق.

ولهذا فإنه لا ينبغي أن يكون إطارَ النظر والدراسة لهذا النوع من النصوص، هو تقديس أقوال أئمة السلف، وعدم الخروج عنها، واعتبارها بمثابة الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا ينبغي كذلك أن يكون إطار النظر والدارسة هو ازدراء كلام أئمة السلف وعدم الاعتداد به.

هذا في باب الأقوال وفي بعض تطبيقات المنهج، أما المنهج فلا يصح لنا الخروج عن منهجهم، بل يسَعنا ما وَسِعَهم، ولا تجتمع الأمة على ضلالة. والحمد لله رب العالمين[١٤٥].

(١٤٥) كتبتُ كتاباً خاصّاً بهذا الموضوع بعنوان: "مدخل لدراسة مشكل الآثار: مقاييسُ لصحة تفسير النصوص، وأنواع استشكال النصوص وأسبابه"، الرياض، ط. الأولى، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

اللفتة السابعة

طريقة قراءة النبي ﷺ للقرآن

جاء في حديث حذيفة ﷺ عند مسلم، في وصف صلاة النبي ﷺ من الليل: (يقرأ مترسّلاً، إذا مرّ بآية فيها تسبيحٌ سبّح، وإذا مرّ بسؤالٍ سأل، وإذا مرّ بتعوّذٍ تعوّذ)(١٤٦).

وفي صحيح البخاري: أنّ قَتَادَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ عَنْ قِرَاءَةِ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَالَ: كَانَ يَمُدُّ مَدًّا(١٤٧).

وفي البخاري: عن قتادة أنه سأل أنساً: كيف كانت قراءة النبي ﷺ؟. فقال: كانت مَدّاً. ثم قرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، يمد بـ(بسم الله)، ويمد بـ(الرحمن)، ويمد بـ(الرحيم)(١٤٨).

وفي سنن الترمذي: عَنْ يَعْلَى بْنِ مَمْلَكٍ أَنَّهُ سَأَلَ أُمَّ سَلَمَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ قِرَاءَةِ النَّبِيِّ ﷺ وَصَلَاتِه؛ فَقَالَتْ: مَا لَكُمْ وَصَلَاتَهُ! كَانَ يُصَلِّي ثُمَّ يَنَامُ قَدْرَ مَا صَلَّى، ثُمَّ يُصَلِّي قَدْرَ مَا نَامَ، ثُمَّ يَنَامُ قَدْرَ مَا صَلَّى، حَتَّى يُصْبِحَ. ثُمَّ نَعَتَتْ قِرَاءَتَهُ؛ فَإِذَا هِيَ تَنْعَتُ قِرَاءَةً مُفَسَّرَةً حَرْفًا حَرْفًا(١٤٩).

---

(١٤٦) مسلم: ٧٧٢- صلاة المسافرين وقصرها.

(١٤٧) البخاري: ٤٧٥٨. وقوله: "يَمُدُّ مَدًّا"، أيْ: يقرأ بتؤدة، ويُخْرج الحروف من مخارجها، ويمد ما يستحق المد منها. قال في "الفتح": "المدّ عند القراءة على ضربين: أصليٌّ، وهو إشباع الحرف الذي بعده ألف أو واو أو ياء، وغير أَصْليّ، وهو ما إذا أعقب الحرف الذي هذه صفته همزة. وهو متصل ومنفصل".

(١٤٨) البخاري: ٤٧٥٩.

(١٤٩) الترمذي، ٣١٧٣، وقال: "هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ لاَ نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ حَدِيثِ لَيْثِ بْنِ سَعْدٍ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ يَعْلَى بْنِ مَمْلَكٍ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ. وَقَدْ رَوَى ابْنُ جُرَيْجٍ هَذَا الْحَدِيثَ عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ. وَحَدِيثُ لَيْثٍ أَصَحُّ".

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعن عبد الله بن مغفل، قال: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ وَهُوَ عَلَى نَاقَتِه - أَوْ جَمَلِه - وَهِيَ تَسِيرُ بِه، وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْفَتْحِ، أَوْ مِنْ سُورَةِ الْفَتْحِ، قِرَاءَةً لَيِّنَةً، يَقْرَأُ وَهُوَ يُرَجِّعُ(١٥٠).

وقد عقدَ البخاري باباً في صحيحه بعنوان: (بَاب حُسْن الصَّوْت بِالْقِرَاءَةِ لِلْقُرْآن). وأورد فيه حديث أبي موسى: أن النبي ﷺ قال له: (يَا أَبَا مُوسَى! لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ)(١٥١).

قال في الفتح: "قَوْله: (بَاب حُسْن الصَّوْت بِالْقِرَاءَةِ لِلْقُرْآنِ)، كَذَا لأَبِي ذَرّ ، وَسَقَطَ قَوْله " لِلْقُرْآنِ " لِغَيْرِه . وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي "بَاب مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآن" نَقْل الإِجْمَاع عَلَى اسْتِحْبَاب سَمَاع الْقُرْآن مِنْ ذِي الصَّوْت الْحَسَن. وَأَخْرَجَ اِبْن أَبِي دَاوُدَ مِنْ طَرِيق اِبْن أَبِي مُسْجِعَة قَالَ: "كَانَ عُمَر يُقَدِّم الشَّابّ الْحَسَن الصَّوْت؛ لِحُسْنِ صَوْته بَيْن يَدَيْ الْقَوْم"(١٥٢).

وأورد البخاري حديث أبي هريرة: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ)(١٥٣).

قال ابن حجر فيه: "حَدِيث أَبِي هُرَيْرَة : لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ، وَزَادَ غَيْره ، (يَجْهَر بِهِ)، أَوْرَدَهُ مِنْ طَرِيق اِبْن جُرَيْجٍ، حَدَّثَنَا اِبْن شِهَاب... ،

---

(١٥٠) البخاري: ٤٢٨١، و٥٠٤٧، ومسلم، ٧٩٤. قوله: (يرجّع): من الترجيع وهو ترديد القارئ الحرف من الحلق. (قال) القائل هو معاوية بن قرة رحمه الله تعالى راوي الحديث. (كما رجَّع) أيْ: عبد الله بن مغفل ﷺ. يُنظر "فتح الباري" في شرحه لهذا الحديث عند شرحه لـ"باب الترجيع"، الذي جاء تحته الحديث رقم ٥٠٤٧. وقد قال ابن حجر، رحمه الله تعالى: "...وَالَّذِي يَظْهَر أَنَّ فِي التَّرْجِيع قَدْرًا زَائِدًا عَلَى التَّرْتِيل، فَعِنْد اِبْن أَبِي دَاوُدَ مِنْ طَرِيق أَبِي إِسْحَاق عَنْ عَلْقَمَةَ قَالَ: "بِتّ مَعَ عَبْد اللَّه بْن مَسْعُود فِي دَاره، فَنَامَ ثُمَّ قَامَ، فَكَانَ يَقْرَأ قِرَاءَة الرَّجُل فِي مَسْجِد حَيّه: لَا يَرْفَع صَوْته وَيُسْمِع مَنْ حَوْله، وَيُرَتِّل وَلَا يُرَجِّع". وَقَالَ الشَّيْخ أَبُو مُحَمَّد بْن أَبِي جَمْرَة: مَعْنَى التَّرْجِيع تَحْسِين التِّلَاوَة لَا تَرْجِيع الْغِنَاء...".

(١٥١) البخاري: ٥٠٤٨.

(١٥٢) الفتح، ٩٢/٩، في شرح حديث البخاري: ٥٠٤٨.

(١٥٣) البخاري: ٧٥٢٧.

وَفِي بَاب قَوْل اللَّه تَعَالَى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾، مِنْ طَرِيق عَقِيل عَنْ ابْن شِهَاب، بِلَفْظ: (مَا أَذِنَ اللَّه لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ)(١٥٤)، وَقَالَ صَاحِبٌ لَهُ: (يَجْهَر بِهِ)(١٥٥)، وَسَيَأْتِي قَرِيباً مِنْ طَرِيق مُحَمَّد بْن إِبْرَاهِيم التَّيْمِيّ، عَنْ أَبِي سَلَمَة بِلَفْظ: (مَا أَذِنَ اللَّه لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حُسْن الصَّوْت بِالْقُرْآنِ يَجْهَر بِهِ...)"(١٥٦).

ومما يَدلُّ عليه هذا الوصْف لقراءته ﷺ، أنه كان يقرأ:

- ✓- بتؤدةٍ، وتأنٍّ.
- ✓- يَمُدّ بالمدود في مواضعها.
- ✓- تحسين القرآن بصوته، أو: تحسين صوته بالقرآن.
- ✓- يرفع صوته، أحياناً، ويَخفض، أحياناً. ويختلف الأمر باختلاف الأحوال: صلاة فريضة، أو نافلة، منفرداً، أو إماماً.
- ✓- يُرجّع أحياناً.
- ✓- يتأمّل الآيات ويتدبرها، ويَستجيب لها ﷺ.

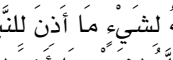

(١٥٤) البخاري: ٥٠٢٤. بلفظ: (مَا أَذِنَ اللَّهُ لشَيْءٍ مَا أَذِنَ للنَّبِيِّ أَنْ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ).

(١٥٥) البخاري: ٥٠٢٣. بلفظ: (لَمْ يَأْذَنِ اللَّهُ لشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ -ﷺ- يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ). وَقَالَ صَاحِبٌ لَهُ: - يُرِيدُ -: يَجْهَرُ بِهِ. وفي رواية: (لِنَبِيٍّ).

(١٥٦) البخاري: ٧٥٤٤. ويُنْظَر أطراف متن الحديث أيضاً عند البخاري، بالأرقام: ٥٠٢٣، و٥٠٢٤، و٧٤٨٢. وقد شرح ابن حجر في الفتح معنى التغني بالقرآن عند الحديث رقم ٥٠٢٤، وأورد الأقوال في معناه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اللفتة الثامنة

أمثلة للوقف المهم

- في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ﴾(١٥٧).

الوقف متعيّن على قوله: ﴿سَبَقُوٓا۟﴾؛ لأن ما بعدها ليس داخلاً في الحسبان المنهيّ عنه، وإنما هو كلام جديد، وهو بعكس ذلك الحسبان أو ضدّه، وهو تأكيدٌ للنهي، وليس استمراراً في ذكْر المنهيّ عنه.

- في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(١٥٨)، من المتعيّن الوقوف على كلمة ﴿ءَاخَرَ﴾، وإلا انقلب المعنى، بحيث يُظَنُّ أن قوله سبحانه: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ...﴾ وصفٌ للإله الآخَر المنهيُّ العبادُ عن عبادته!.

- في قوله تعالى: ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ ۘ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾(١٥٩)، فالوقوف إنما يكون على قوله: ﴿قَوْلُهُمْ﴾؛ وإلا انقلب المعنى رأساً على عقبٍ!.

- في قوله تعالى: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾(١٦٠)، فالوقوف إنما يكون على قوله ﴿نُفُوسِكُمْ﴾، ولو لم يكن هذا الوقف لخفي المعنى المراد بالآية.

ومن السنة الوقوف في القراءة عند رأس كل آية؛ لحديث حذيفة

(١٥٧) ٥٩: الأنفال: ٨.
(١٥٨) ٨٨: القصص: ٢٨.
(١٥٩) ٧٦: يس: ٣٦.
(١٦٠) ٢٥: الإسراء: ١٧.

السابق ذكره في وصف صلاة النبي ﷺ وقراءته فيها.

وقد يَذْهب بعض الناس إلى هذا المعنى بشيء من الحَرْفية الظاهرية، بحيث لا يجيز الخروج عن هذا في أي موضع من المواضع. وهذا التوجّه لتطبيق هذا الحكم بهذا الْمَسْلك خطأٌ؛ وذلك لأن الصواب أن الوقف على رؤوس الآي هو القاعدة العامة، ولكن يَتَعَيَّنُ الخروج عنها في مواطن من المصحف الشريف، ومنها:

عندما يرتبط لفظ الآية بالآية التي بعدها ارتباطاً قوياً، بحيث يَقْطَعُ هذا الارتباطَ الوقوفُ على رأس الآية الأولى، مثل قوله تعالى: ﴿...لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ۝٢١٩ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ...﴾[١٦١]، فالمتعين في مثل هذه الحال وصْل آخر الآية الأُولى ببداية الثانية في القراءة، لا الوقوف على ﴿تَتَفَكَّرُونَ﴾، وليس في ذلك مخالفة شرعية.

ومثل هذا، قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ۝١٣٧ وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٣٨﴾[١٦٢].

فلو وَقَفَ القارئ على لفظة ﴿مُّصْبِحِينَ﴾، بحجة أنها رأس آية، لاختَلّ المعنى المراد بالآيتين؛ إذْ ليس المقصود: ﴿وَبِٱلَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾!.

ومثل هذا، قوله تعالى: ﴿...وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٦٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٦١﴾[١٦٣]؛ فإنّ المعنى يقتضي وَصْل الآية بالآية، لا الوقوف على لفظة ﴿بِمَسْبُوقِينَ﴾.

ومن هذا، قوله تعالى: ﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ۝٧١ فِي ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِي ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ۝٧٢ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ۝٧٣ مِن

(١٦١) ٢١٩-٢٢٠: البقرة: ٢.
(١٦٢) ١٣٧-١٣٨: الصافات: ٣٧.
(١٦٣) ٦٠-٦١: الواقعة: ٥٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

دُونِ ٱللَّهِ... ﴿٧٤﴾﴾[١٦٤]؛ فإن المعنى يقضي بوصْل هذه الآيات ببعضها وعدم الوقوف على لفظة: ﴿يُسَجَّرُونَ﴾ ولا على لفظة: ﴿تُشْرِكُونَ﴾.

- ومن هذا، قوله تعالى: ﴿...فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ...﴿٢١﴾﴾[١٦٥]، فالمعنى يقضي بوصْل الآيتين ببعضهما.
- ومثل هذا، قوله سبحانه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾[١٦٦]، فالمعنى يقضي بعدم الفصْل بين هاتين الآيتين.

وكذلك تطّردُ هذه الملاحظة بالنسبة للوقف والوصل في الآية الواحدة، وذلك حينما يختلف المعنى، أو يلتبس، إلا بوصلِ اللفظة باللفظة بعدها، ومن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[١٦٧].

قد يختلف الناس في الوقف في هذه الآية بعد كلمة ﴿أَذًى﴾، وفي المصحف قد وُضع فوق هذه الكلمة مصطلح "لا"[١٦٨] وهو إشارةٌ إلى النهي عن الوقف، وذلك ظناً منهم أن الجارَّ والمجرور في كلمة ﴿لَّهُمْ﴾ متعلق بـ﴿أَذًى﴾.

ولكن هذا الرأي غير صحيح عندي، والصواب هو الوقف على كلمة ﴿أَذًى﴾، ثم الابتداء بقوله تعالى: ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

---

(١٦٤) ٧١-٧٤: غافر: ٤٠.

(١٦٥) ٢٠-٢١: محمد: ٤٧.

(١٦٦) ٤-٥: الماعون: ١٠٧.

(١٦٧) ٢٦٢: البقرة: ٢.

(١٦٨) ومعلومٌ أن هذه المصطلحات الموضوعة في المصحف، ليست توقيفية، وإنما هي اجتهاديةٌ، وضعها العلماء المتخصصون تبعاً لما عندهم من الرواية أحياناً، أو المعنى -وهو الغالب- فلا حرج في المخالفة في الاجتهاد؛ لأن المسألة ليست نصّاً محكماً، ولا إجماعاً ثابتاً. والله أعلم.

وذلك لأن لفظة ﴿لَّهُمْ﴾ ليست مرتبطةً بكلمة ﴿أَذًى﴾ وإنما هي متعلقة بكلامٍ جديد.

ومما يدل على صحة هذا الرأي، دليلٌ واضح، هو ورود هذا المقطع الأخير من الآية مستقلاً بذاته دون لفظة ﴿أَذًى﴾ في موضع آخر من القرآن الكريم، وهو قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(١٦٩).

فقوله تعالى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ هو نصّ الآية التي هي موضع النظر والخلاف، ومعناها هو معناها، وقد جاء فيها اللفظ بدون كلمة ﴿أَذًى﴾؛ فتجري هذه الآية مجرى هذه في القراءة طالما أنه قد اتحد اللفظ والمعنى في الآيتين. وكذلك في سورة آل عمران قال تعالى: ﴿... أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾(١٧٠).

- ومن الأمثلة على الوقف الذي يَغْفل عنه كثيرٌ من الناس، أو يَلْتبس عليهم: موضع الوقف في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾(١٧١).

فالذي ينبغي هنا هو الوقف على ﴿يَتَفَكَّرُوا۟﴾؛ إذْ المراد هو أن يتفكروا؛ ليتضح لهم أن محمداً ﷺ ليس به جِنّة، وليس المراد التفكر فيما به من جِنَّة!

ومِن أوجُهِ الدلالة على الموضع المناسب للوقف: الرجوع إلى الآيات المشابهة، ومن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾(١٧٢).

---

(١٦٩) ٢٧٤: البقرة: ٢.
(١٧٠) ١٩٩: آل عمران: ٣.
(١٧١) ١٨٤: الأعراف: ٧.
(١٧٢) ٤٦: سبأ: ٣٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ﴾(١٧٣).

رأيٌ في الوقف والابتداء:

رأيتُ موضعاً في سورةِ البقرة قد وُضِع فيه إشارة (لا)؛ لمنع الوقف فيه، ولكن، بالنظر إلى جميع ما ورد بهذا اللفظ في القرآن الكريم تبيّن أنّ هذا ليس صحيحاً؛ بدليل بقية المواضع المماثلة في المصحف الشريف كله. وإليك بيان ذلك تفصيلاً:

هذا الموضع هو عند قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(١٧٤). حيث وُضِع إشارة (لا) على قوله تعالى ﴿أَذًى﴾ ؛ فيراد بهذا وصلُها مع لفظة: ﴿لَّهُمْ﴾، لكن، هذا ليس صواباً، وهذه الإشارات ليست توقيفية، وإنما هي اجتهادية، ولَمّا نظرتُ في المصحف وجدت لفظة: ﴿لَّهُمْ أَجْرُهُمْ﴾ قد وردت في المصحف ست مرات. أربعةٌ منها كلها في سورة البقرة، هذه الآية أحدها.

والثانية: قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾(١٧٥).

والثالثة: قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾(١٧٦).

والرابعة: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا

(١٧٣) ٨: الروم: ٣٠.
(١٧٤) ٢٦٢: البقرة: ٢.
(١٧٥) ٦٢: البقرة: ٢.
(١٧٦) ٢٧٤: البقرة: ٢.

ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾﴾(١٧٧).

والموضع الخامس: قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشۡتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنٗا قَلِيلًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾(١٧٨).

والموضع السادس: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمۡ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ وَنُورُهُمۡۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١٩﴾﴾(١٧٩).

ففي هذه المواضع كلها جاء المعنى فيها على (وصْل) لفظة: ﴿لَّهُمۡ﴾ بما بعدها، لا على وصلها بما قبلها على ما اقتضته تلك الإشارة.

وجاء التعبير نفسه في الكتاب العزيز في حق المفرد كما هو في حق الجمع، فقد جاء ذلك في سورة البقرة، أيضاً، قوله تعالى: ﴿بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾(١٨٠).

وهو، كما ترى، واضحٌ أنّ الشأن فيه هو على ما ذكرتُهُ في الآيات السابق ذكرها، وواضحٌ أن الفاء التعقيبية، التي جُعلت في أول هذه اللفظة تؤكد سلامة البدء بها، أو تؤيّد البدء بها، وليس في هذه الآية مسوّغٌ يقضي بربط هذه اللفظة وما بعدها بما قبلها بحسب ما ذهب إليه من وضع إشارة منْع الوقف تلك. والحمد لله رب العالمين!

(١٧٧) ٢٧٧: البقرة: ٢.
(١٧٨) ١٩٩: آل عمران: ٣.
(١٧٩) ١٩: الحديد: ٥٧.
(١٨٠) ١١٢: البقرة: ٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اللفتة التاسعة
لا تتلقَّ أخبار القرآن بصفتها أخباراً فقط

في مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾[١٨١]. يُمْكن أن تأخذه أخذاً ظاهريّاً، على أنه خَبرٌ عن طبيعة عمل الرسول ووظيفته، فقط!

ويُمْكن أن تأخذه على كل ما يحمله من معنىً أراده الله تعالى، بعمومه.

وحينئذٍ تَفهمُ من هذا، مثلاً: أنه يَعني، أيضاً: أنّ أتباع الرسل كذلك لهم نَصيب في سيرة الرسل وطرائقهم، التي أمرهم الله تعالى باتّباعها في دعوتهم وبيانهم.

فكل الآيات التي تتحدث عن هذا الجانب مجالٌ للإفادة منها في هذا الموضوع فهماً واقتداء. وكل الآيات التي تتحدث عن خبرٍ ما، نستنبط منها ما وراء ذِكْر الله لهذا الخبر؛ فنَستْلهم منه الدروس والعِبر، والأحكام والحِكَم!

فإذا أَخبر الله تعالى عن الرسول ﷺ بقوله: ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾؛ فهذا يَعني أنّ الداعية، الذي من شأنه أن يكون وارثاً لرسول الله ﷺ، مقتدياً به، يجب عليه أن يُبلِّغ البلاغ المبين، كذلك.

وأنّ المسلم ليس عليه هداية الناس هداية توفيق، ولكن، عليه هدايتهم هداية الإرشاد والدلالة؛ بدلالتهم على الهدى؛ فيلتمس الأساليب الواضحة الموفَّقة في هداية الناس!

وهكذا قُلْ في الأمثلة المشابهة، الواردة في الكتاب العزيز.

---

(١٨١) ٥٤: النور: ٢٤.

اللفتة العاشرة

ألفاظٌ قرآنيةٌ تحتاج إلى تدبر

هذه ألفاظٌ قرآنيةٌ تحتاج إلى تدبر، وكل القرآن يحتاج إلى التدبر، ولكن هذه الألفاظ تحتاج إلى ذلك؛ لكثرة الغفلة عنها مع عِظَمِ شأنها، ومنها الآيات الآتية -اقرأْها بتدبر-:

- ﴿وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾(١٨٢).
- ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(١٨٣).
- ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾(١٨٤).
- ﴿وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾(١٨٥).
- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾(١٨٦).
- ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾(١٨٧).
- ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾(١٨٨).
- ﴿وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾(١٨٩).

---

(١٨٢) ١١٩: المائدة: ٥، ١٠٠: التوبة: ٩، ١٢: الصف: ٦١، ٩: التغابن: ٦٤.
(١٨٣) ١٩: التوبة: ٩.
(١٨٤) ٢٤و٨٠: التوبة: ٩، و٥: الصف: ٦١.
(١٨٥) ٢: التحريم: ٦٦.
(١٨٦) ١١٩: آل عمران: ٣، و٧: المائدة: ٥، ٢٣: لقمان: ٣١. وقد تكرر هذا المعنى في القرآن كثيراً.
(١٨٧) ٥: آل عمران: ٣.
(١٨٨) ١٣: آل عمران: ٣.
(١٨٩) ١٤: آل عمران: ٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾(١٩٠).

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(١٩١).

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾(١٩٢).

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾(١٩٣).

﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾(١٩٤).

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾(١٩٥).

﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾(١٩٦).

(١٩٠) ٣٧: آل عمران: ٣.
(١٩١) ٥٧: آل عمران: ٣.
(١٩٢) ٦٢: آل عمران: ٣.
(١٩٣) ٦٦: آل عمران: ٣.
(١٩٤) ٧٣: آل عمران: ٣.
(١٩٥) ٧٦: آل عمران: ٣.
(١٩٦) ٢٨١: البقرة: ٢.

اللفتة الحادية عشرة

لفتاتٌ في آيات

أضربُ في الآتي بعض الأمثلة للفتات تشتمل عليها آياتٌ في كتاب الله تعالى؛ أَسُوقها؛ لتكون مثلاً يُحتَذَى حذْوه في تدبر الكتاب العزيز:

١- مما يلفت النظر قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ في سياقها الذي وردت فيه، حيث وردت في سياق الحديث عن فراق غير المدخول بها، وليستْ واردةً في سياق الحديث عن العلاقة بين الزوجين زواجاً مستمراً وقْتَ نزول هذا النُّصح وهذا التوجيه الإلهيّ! قال تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾(١٩٧).

وهذا النص الكريم يضرب مثلاً عجيباً رائعاً في الأخلاق وحسن العشرة، وكريم المعاملة! لقد كنتُ يتبادر إلى ذهني أن هذه اللفظة واردة في شأن الزوجين، فلما نظرتُ في سياقها الذي وردتْ فيه، أدركتُ إلى أي حدٍّ هذا السموّ الذي تدل عليه هذه العبارة!

فالحمد لله على دينه!

والحمد لله على كتابه!

والحمد لله على توجيهه الكريم!

ونسأله أن يرزقنا نعمة التخلق به!

ونتذكر هنا ما هو واقعٌ من بعض الناس في تعامل بعضهم مع بعض،

(١٩٧) ٢٣٧: البقرة: ٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بل في تعامل بعض الإخوة مع إخوانهم الأشقاء أو لأبٍ أو لأُم، حيث نرى في تعاملهم مع إخوانهم أَثَرَ التنكُّر للأخوّة، ونسيان العلاقة، ونسيان الفضل والحقوق، ورفع راية اللؤم، فما أعظمَ النكبة! وما أعظمَ التنكّبَ عن دعوة الله لنا البليغة في هذه الآية!

٢- مما يَلْفت النظر في قول الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾[١٩٨].

فقول الله سبحانه: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ قولٌ بليغٌ في تصوير منهج الإسلام في التعامل مع الأعداء، فضلاً عن الأصدقاء! ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ﴾ إنه تأكيدٌ على أخلاق الإسلام التي يوجبها على المسلمين في السلم والحرب!

٣- مما يَلْفت النظر في الكتاب العزيز خواتم الآيات، ودلالاتها البليغة الدقيقة، ودقة تناسبها مع دلالة الآية.

٤- ومما يَلْفت النظر من خواتيم الآيات ما رأيته من كثرة تكرار عبارة ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ و﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ وَمَا فِي مَعْنَاهُمَا، وانظر عدد تكرار ذلك في سورة البقرة، مثلاً؛ فستَعْجب مِن ذلك.

وقفةٌ:

سورة البقرة سورةٌ عجيبة! وفيها خصائص واضحة لِمن تأملها، ففيها، مثلاً:

-شمولٌ في المعاني والأحكام والحِكم.

-إشاراتٌ تربوية في غاية الأهمية والتأثير.

-قصص عجيب.

-محاجّة أهل الكتاب، ومحاجّة الملاحدة والمشركين.

(١٩٨) ١٩٠: البقرة: ٢.

-وفيها آية الكرسيّ أعظم آيةٍ في القرآن.

-وفيها خواتيم سورة البقرة.

-وهذه السورة فيها محطّاتٌ علمية وتربوية.

-وفيها تفصيلٌ عجيب دقيق لعددٍ مِن الأحكام.

فما أحوج الناس إلى الوقوف عند هذه السورة الكريمة وآياتها، وإلى تأملها واستلهام العلم والأحكام والحِكم والحجج،...

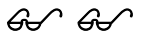

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اللفتة الثانية عشرة

الأمرُ بتزيين القرآن بالأصوات

في حديث البراء بن عازب قَالَ: وَكَانَ يَأْتي نَاحيَةَ الصَّفّ إلَى نَاحيَته، يُسَوّي صُدُورَهُمْ وَمَنَاكبَهُمْ، يَقُولُ: (لا تَخْتَلفُوا فَتَخْتَلفَ قُلُوبُكُمْ)، قَالَ: (إنَّ اللَّهَ وَمَلائكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى الصُّفُوفِ الأُوَلِ)، وَكَانَ يَقُولُ: (زَيّنُوا الْقُرْآنَ بأَصْوَاتكُمْ)[١٩٩].

فينبغي لقارئ القرآن أن يمتثلَ هذا الأمر، فَيُعنَى بتزيين القرآن بصوته، مستحضراً أنه إنما يترنّم بكلام الله تعالى، أحلى كلام، وأعذبه، فلا يَخيب تاليه، ولا يَضلُّ متّبعُهُ!

والمقصود أن يكون تزيين القرآن بالصوت، على أن لا يكون على حساب صحة القراءة، وأن يكون وَفْق الأداء المطلوب في سَمْتِ القراءة الصحيحة.

ومَن وَقف على ما ورد عن الأسلاف الصالحين في جودة القراءة، وحُسْنها، وعنايتهم بذلك؛ أدرك أهمية العناية بهذا الأمر. ويُمْكن الاطّلاع على أمثلةٍ عنهم، في عنايتهم بحسْن القراءة للكتاب العزيز، في بعض ما نقلتُهُ في المبحث الثامن مِن هذا الكتاب.

---

(١٩٩) أحمد، ٤/٢٨٥ رقم ١٨٥١٦، وأبو داود، ٦٦٤، الصلاة، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

اللفتة الثالثة عشرة

تدبُّرُ الكتاب العزيز وَفْقَ اللغة العربية

في قوله تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٢﴾[٢٠٠]. دلالة على معانٍ، منها:

١- أهمية مراعاة عربية القرآن في منهج تدبره وتفسيره، فيُفاد من دقائق استعمالاته اللغوية في الإحاطة ببعض أسراره؛ لأن الله تعالى قد ربط بين كون القرآن عربيّاً، وبين قوله سبحانه: ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾!.

٢- أهمية عناية المتدبر للكتاب العزيز باللغة العربية ودقائقها وبلاغتها؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه؛ فكيف يُنتظر ممن لا يفقه اللغة العربية، وأسرارها أن يُدْرك أسرار تعبير القرآن الكريم عن المعاني!

٣- أهمية مخاطبة المدعوّين باللغة التي يفهمونها، فالله سبحانه وتعالى خاطب العرب بهذا القرآن عربياً مبيناً، وقال: ﴿لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾؛ لأنهم هم المختارون لتبليغه إلى العالمين، ثم غيرهم مأمورون بتعلم لغة القرآن، اللغة العربية، كما أن العرب مأمورون أن ينقلوا معاني القرآن إلى غير العرب بلغاتهم؛ لأن الله تعالى قال في آية أخرى: ﴿...وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ...﴾[٢٠١].

(٢٠٠) ١-٢: يوسف: ١٢.

(٢٠١) الأنعام: ١٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اللفتة الرابعة عشرة
منهجيَّةٌ مهمَّةٌ في تَدَبُّر الكتاب العزيز

- ينبغي -في باب منهج التعامل مع القرآن الكريم- العناية بالعودة إلى منهج التركيز على معرفة دلالة الآية: بمعرفة معناها العامّ، ومعرفة معاني ألفاظها، والمراد بهذه الألفاظ في الاستعمال القرآني، ثم معرفة دلالة الأسلوب؛ وبالتالي معرفةُ دلالة الآية في أيسر ما يبْحث عنه الإنسان أو القارئ؛ فإن هذا سيكون له ما بعده من العودة الحقيقية إلى كتاب الله، والتعامل مع معانيه ودلالاته وهداياته، بدلاً من التعامل مع ألفاظه فقط، بل ربما -للأسف- والعناية بألفاظه بعيداً عن التعامل مع معانيه وهداياته وأحكامه!

فمثلاً: إذا قرأتَ قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾[٢٠٢]، اسألْ نفسكَ عن معاني مفردات الآية؛ حتى تعرفَ دلالةَ كلّ لفظةٍ فيها؟ فقد لا تكون عارفاً بها من قبلُ.

وكذلك تسأل نفسكَ عن مدى معرفتك بدلالة الْجُمَل في الآية، فمثلاً: قوله تعالى: ﴿خَصِيمًا﴾ يتعيَّنُ أن تُدْرِكَ أن معناها: مُخَاصِماً. ثم تسألُ نفسكَ عن مدى معرفتكَ لمعنى جملة: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾؛ لتعلمَ أن المعنى المراد هو: لا تُخاصِم ولا تجادل عن الخائنين؛ ويساعدُك على ذلك قوله تعالى في الآية الثانية بعدها: ﴿وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾[٢٠٣].

---

(٢٠٢) النساء: ١٠٥.

(٢٠٣) النساء: ١٠٧.

إنَّك قبلَ أن تسلكَ هذا المسلك، رُبَّما كان المتبادر إلى ذهنك هو أن المقصود بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾، هو: لا تُخاصِمْ الخائنين، لكن هذا الظنُّ غير صحيحٍ، فليس هو المراد بالآية.

ولعله اتضحَ لك أنّه بدون الوقوف عند هذه المواضع من الآية، ومعرفة دلالتها لن تعرفَ معنى الآية، ولن تتعاملَ، إذَنْ، مع معنى الآية والحُكْمِ الذي دعتْ إليه.

وهكذا يتضحُ لك أنّه بهذا المسلك تأخذُ الطريقَ الصحيحَ للتعامل مع آيات كتاب اللّه تعالى، وتَدَبُّرِها من طريق التدبُّر الصحيح، وتقرأُها القراءة الصحيحة.

والقاعدةُ في هذا هي أن: كُلَّ آيةٍ تقرأُها تشتمل على مفردةٍ لا تعرفُ دلالتها، ومعناها في التعبير القرآني، وكلَّ جملةٍ في الآية لا تعرفُ معناها ودلالةَ أسلوبها، ولا تَقِفُ عندها مثل هذا الوقوف؛ فإنّ ذلك يكونُ من قَبِيل التعامل مع ألفاظ القرآن الكريم دون معانيه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الثالث

قواعد التدبر

هناك الكثير من القواعد المهمة، التي ينبغي الإفادة منها في تدبُّرِ القرآن الكريم، ولن أُحصي هذه القواعد، وإنما سأذكر بعضاً منها؛ لأهميته، ولاسيما أن بعضها قواعد استنبطتُها استنباطاً، وقد يكون غيري سبقني إليها دون أنْ أعلم به. فإلى هذه القواعد:

القاعدة الأولى

ملاحظة المعاني المركبّة والمعاني المفردة معاً

مما يَلْزم المتدبرَ للقرآن، التنبهُ: لمسألة المعاني المركّبة في مواضع من القرآن، وإدراكُ التلازم بينها في الموضع الواحد...

فالمعنى في الآية أو الآيات أحياناً يكون معنى مفرداً، وأحياناً يكون معانيَ مركّبةً، مترابطة.

ولعل إدراك القارئ للمعاني المفردة، أوضحُ عنده، وأسهل من تنبُّهه للمعاني المركّبة المترابطة في عددٍ من المواضع في الكتاب العزيز.

ومن الأمثلة على هذا الأخير، قوله تعالى: ﴿...وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[٢٠٤]. فالمتبادر إلى أذهان كثير من القارئين لهذه الألفاظ العزيزة، وإلى أذهان المتدبرين لها، هو معاني الألفاظ، مستقلاً كلٌّ منها عن الآخر؛ لأنهم إنما يفهمون معانيها على أساس التجزئة؛ فيقال مثلاً: دلت الآية على:

١- أن الله هو مولى المؤمنين.

(٢٠٤) ٢: التحريم: ٦٦.

٢- وأن الله هو العليم.

٣- وأن الله هو الحكيم.

وهذا حق، ولكن في الآية معنى آخر مهمّ، وهو معانٍ مركَّبة مترابطة، فقد دلت الآية على أن الله هو مولى المؤمنين، وهو العليم الحكيم، على أساس الربط بين المعنى الأول والمعنى الثاني، أَيْ: فأيُّ خوفٍ أو نقْصٍ سيكون عليكم، وأيُّ خير يَفُوتكم إذا كان الله هو مولاكم وهو العليم الحكيم؟

- ومن الأمثلة على المعاني المركّبة، كذلك، قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾[٢٠٥]، فإن المقصود من الذمّ هنا: الوصف الذي يتصف به بعض الناس، المركّب من صفتين هما:

١- إذا اكتالوا على الناس يستوفون.

٢- إذا كالوا الناس أو وزنوهم يُخْسِرون.

فليس الذم لهم متوجّهاً بالصفة الأولى منفردة، وإنما مع الصفة الأخرى؛ لأنّ أَخْذَ الحقِّ لا يَتوجَّه له الذمُّ شرعاً، أما الصفة الثانية فمذمومة مطلقاً: سواء كانت مع الصفة الأولى، أو كانت منفردة!

- ومن أمثلة المعاني المركبة الواردة في القرآن: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ۝١٤﴾[٢٠٦]. فالمعاني المركّبة في هذه الآية مقصودٌ في الآية التنبيهُ عليها مجتمعةً، وتتمثل في:

١- كون الله تعالى جعلهم خلائف في الأرض، أيْ: يَخْلُفُ بعضهم بعضاً؛ وفي هذا ما فيه من العبرة.

٢- كونهم قد جعلهم الله تعالى خلفاء لهؤلاء القوم الذين جرى عليهم ما

(٢٠٥) ١-٣: المطففين: ٨٣.

(٢٠٦) ١١٤: يونس: ١٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جرى مِن الكفر والتكذيب والعقوبة الإلهية.

٣- تنبيهه سبحانه وتعالى على الحكمة مِن هذا الاستخلاف، وهو الابتلاء، والنظر إلى ما سيكون عليه الذين خَلَفوا أولئك الهالكين، أو الغابرين!

ومن أمثلة المعاني المركبة الواردة في القرآن، أيضاً: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾[٢٠٧]. فالمعاني هذه مجتمعة مقصودٌ في الآية التنبيه عليها، وهي:

١- أَمْر الله سبحانه لرسوله ﷺ، ولكل مَن يَصْدقُ عليه الخطاب مِن أُمّته، أنْ يُقيم وجْهه للدِّين، والمراد: الاستسلام له، والرضا به.

٢- الاستسلام للدِّين حالة كون هذا الاستسلام حنيفاً، والمراد: التوحيد الخالص لله رب العالمين.

٣- تأكيد نوع هذا الاستسلام المراد، بأنْ لا يكون صاحبه مِن المشركين!

إلى آخر الأمثلة الكثيرة في القرآن الكريم، التي تشتمل على معانٍ متعددة، يأتي التعبير القرآني للتنبيه على الربط بينها في تدبر معاني كلام الله تعالى.

(٢٠٧) ١٠٥: يونس: ١٠.

القاعدة الثانية

التدبر العامّ والتدبر الجزئيّ

من الأبواب الصحيحة، والمهمّة في الوقت نفسه، لفقه القرآن وتَدبُّره، الاتجاه إلى تدبّر الآية بعامّةٍ، وتَدبّر معناها العامّ، والاتجاه إلى التدبر الكلّيّ، ومراعاة القاعدةِ الأصلِ، والعناية بمعاني النصّ المباشرة وغير المباشرة. فهذه ثلاثة فروع، تقريباً، يتحقق بها التدبر العامّ والجزئي معاً، وهي:

أ - القناعةُ بأهمية التدبر العام، والتدبرِ لمجموع النص والمعنى العامّ فيه، والغايةِ المقصودة به، وذلك في مقابل التدبر الجزئي الْحَرفيّ؛ إذْ لا يغني أحدهما عن الآخر.

فإدراك المعنى الجزئي في النص، أو إدراك معانيه على سبيل التجزئة، لا يغني عن إدراك المعنى العام أو معنى مجموع النص، بل قد يَصْرف عنه -على ما مضت الإشارة إليه، وإلى أمثلته في القاعدة السابقة-.

ب - القناعة بأهمية التدبر الكلّيّ، واستنباط القاعدةِ والأصلِ المسوق له النص، في مقابل التدبر الفرعيّ، أو في مقابل التركيز على النظر في المعنى الفرعيِّ واستنباطه من النص. على أنه لا يغني أحدهما عن الآخر.

ومن الأمثلة على هذا، قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾[٢٠٨]، فإن القارئ يُمْكن أن يَفهم الآية فهماً معزولاً عن القاعدة، والأصل في

(٢٠٨) ٦٤: المائدة: ٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذا المعنى الذي تتحدث عنه الآية؛ وبالتالي، تراه لا يفهم من الآية إلا أن الله لا يحب المفسدين -وقد يُحَدِّدُهم بأشخاصهم- لكنّ لَمْحَ الأصل والقاعدة في المعنى الذي تتحدث عنه الآية، يفتح مجالاً أوسعَ في باب هداية القرآن، ذلك أن الآية تدل على تقرير قاعدةٍ وأصلٍ عامّ في المجالات التالية:

١- في باب صفات الله تعالى، وأنه لا يحب المفسدين، فلا يتوهّمَنّ أحدٌ أن الله تعالى يتصف بعكس هذه الصفة، إطلاقاً.

فهذه الآية مشتملة على مدْح الله تعالى بصفة من صفاته، وعلى ذمّ المفسدين، وعلى أن الله لا يحبهم!

٢- في باب ذمّ المفسدين وعقوبتهم؛ فالآية دالة على أن الله تعالى لا يحب المفسدين، وهذا حُكمٌ يَعُمُّ، فيَصْدُق على المفسدين الذين تتحدث عنهم الآية، وعلى المفسدين جميعاً؛ لفسادهم؛ فلا يَخْرج عن هذه الحال، وهذه العقوبة الإلهية، أحدٌ من المفسدين.

٣- في باب ذمّ الفساد؛ فالآية دالّة أيضاً على ذمّ الفساد، وهذا يَصْدق على الفساد الذي تتحدث عنه الآية، وعلى كل فساد؛ فإن الفساد هو السبب الذي أوقع المفسدين في هذه العقوبة.

جـ - القناعة -في باب التدبر- بأهمية النظر إلى إدراك المعنى المباشر، المقصود بالنص، في مقابل إدراك المعنى غير المباشر، المقصود بالنص أيضاً. على أنه لا يغني أحدهما عن الآخر، ومثال هذا في هذه الآية: لفظة (الفساد)، وإدراك أنه يشمل الفساد الذي تحدّثت عنه الآية بصورةٍ مباشِرةٍ، وعموم الفساد الذي يتناوله عموم اللفظ.

القاعدة الثالثة

الأمانة والإيمان قبْل القرآن

أخرج الإمام البخاري في صحيحه، عن حذيفة ﷺ، قال: (حدَّثَنَا رسول الله ﷺ أن الأمانة نزلتْ من السماء في جذْر قلوب الرجال، ونزل القرآن، فقرءوا القرآن، وعلِموا من السّنّة)[٢٠٩].

وعن جُندب ﷺ قال: «كُنّا غلماناً حزاورةً مع رسول الله ﷺ فتعلَّمنا الإيمانَ قبل أن نَتَعلَّمَ القُرآن، ثم تعلَّمْنَا القرآن، فازددْنا به إيماناً»[٢١٠].

هذه حال أصحاب رسول الله ﷺ، التي بها نفَعَهمُ الله سبحانه بقراءة القرآن، وهذا هو الفارق الأساس بَيْن قراءة المسلم وقراءة الكافر للقرآن، والمسافة بعيدة جداً بَيْن آثار قراءته على الإيمان به، وآثار قراءته على غير إيمانٍ به.

وقد أَخبرَ الله تعالى عن القرآن بأنه كتابُ هُدَىً للمؤمنين، وأنه عَمَىً للكافرين، وأنه يزيد فريقاً منهم طغياناً وكفراً؛ فقال سبحانه: ﴿طسٓ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ۝١ هُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢﴾[٢١١].

وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَكۡثَرَ ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ۝٧٦ وَإِنَّهُۥ لَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٧٧﴾[٢١٢].

وقال سبحانه: ﴿...قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ

(٢٠٩) البخاري، ٧٢٧٦، الاعتصام.
(٢١٠) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٢٤٩.
(٢١١) ١-٢: النمل: ٢٧.
(٢١٢) ٧٦-٧٧: النمل: ٢٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾(٢١٣).

وقال سبحانه: ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾(٢١٤).

وهذا يدلّ على أهمية الإيمان في قراءة القارئ للقرآن، ويدلّ على أثر إيمان القارئ والمستمع للقرآن الكريم، وأنه بسببه يكون القرآن هدىً وشفاءً، وأنه بدون هذا الإيمان قد يزيد القارئ له طغياناً وكفراً!

إن هذا يدلّ على أن الاهتداء بهذا الكتاب يحتاج إلى أن يؤمن القارئ بِمُنْزِل القرآن، ثم يقرأ القرآن، وأن يكون مُستشعراً لهذا الإيمان وهو يقرؤه. **نَعَمْ إنه يجب أن لا يكون القارئ للقرآن الإنسانَ وحْدَه، وإنما الإنسان والإيمان!**

نَعَمْ إنّ الإنسان والإيمان يجب أن يَكُونا معاً في قراءة القرآن!

أمّا الإنسان وَحْده، فلا!

وبمقتضى هذا الإيمان يكون الإنسان واثقاً بالقرآن!

وبمقتضى هذا الإيمان يكون الإنسان مُصدّقاً لأخبار الله في كتابه!

وبمقتضى هذا الإيمان يكون الإنسان مصدّقاً لوعد الله ووعيده في كتابه!

وبمقتضى هذا الإيمان يكون الإنسان مستشعراً لوعد الله ووعيده في كتابه، ومستشعراً تلك الثقة بالقرآن الكريم، ومستشعراً صِدْق أخبار الله تعالى في أثناء قراءته؛ فلا تسأل عن حاله مع كتاب ربه حينئذٍ!

وعندئذٍ تكون الهداية والاهتداء!

وبغير تصديق أخباره ووعده ووعيده أَنَّى تتأتّى الهداية والاهتداء؟

(٢١٣) ٤٤: فصلت: ٤١.

(٢١٤) ٦٤ و٦٨: المائدة: ٥.

القاعدة الرابعة

العناية بالقَدْر المشترك بين أحكام القرآن

إن من المهم في تدبر القرآن وفقهه: العناية -في تدبر القارئ- بالقدْر المشترك بين أحكام القرآن في مختلف مناحي الحياة، وأن لا تَحْجبَهُ عن ذلك الظاهريةُ التي لا يستفيد بموجبها في آيات المال -مثلاً- إلا في مجال المال، ولا يستفيد من آيات الصلاة، مثلاً، إلا في مجال الصلاة فقط.

وإنما عليه أن يتجاوز حدود الموضوعات، إلى استيعاب القدْر المشترك بينها: من المعاني الشرعية التي يدعو القرآن إليها؛ لأن الغاية العامة من مختلف العبادات في الإسلام واحدة؛ فعلى الإنسان أن يُعنى بتحصيل هدايات الكتاب والسنة بصفة عامة، بالإضافة إلى استيعاب الحكم المباشر الذي تتحدث عنه الآية.

فمثلاً: في قوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا...﴾[٢١٥].

فمن الظاهرية -في فقه هذه الآية- أن لا أستفيد من هدايات الآية إلا فيما يتعلق بالمال خاصة، في حين أن الآية تتحدث عن هذا الحكم الماليّ من خلالِ قاعدةٍ عامةٍ في معناها، والجانب الماليّ تطبيقٌ جزئيٌ عليها. وفي دلالةِ الأَوْلى ما يساعد القارئَ على التدبر المطلوب في هذا الباب.

---

(٢١٥) ٧: الطلاق: ٦٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومثل هذا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[٢١٦]، فهذا دليلٌ من أدلة التوسط المطلوب شرعاً في الأمور كلها، وليس خاصاً بالإنفاق من المال... وما تطبيقه في الجانب الماليّ إلا تطبيقٌ جزئي للحكم.

ومما يؤكد هذه القاعدة - ويمكن أن يُفْهم مستقلاً عنها، أيضاً، لكنه بها ألصق-: الاتجاه إلى عدم تسمية الأشخاص والأشياء في تعبير القرآن، وإنما الاتجاه إلى ذكر المعاني وتحديدها، والإشارة إلى الغايات والعلل والأسباب، حتى ولو كانت المناسَبَةُ حادثةً معيّنةً، أو شخصاً مُعيّناً، أو ظرفاً معيّناً.

ومن الأسباب المقتضية لهذا الأسلوب، إرادةُ تقرير القاعدة؛ لتصْلُحَ للتطبيق على كل مَن يَصْدق عليه الحكم الشرعي -بغضّ النظر عن الأشخاص، والأزمان، والوقائع-.

وكم في كتاب الله تعالى من حديثٍ عن شخصٍ معيّن أو حادثة، ولكن لا يُسمّى الشخص ولا تُخَصَّصُ الحادثة، حتى لَيَظُنّ من لا يعلم ذلك -من خلال الروايات الواردة بشأن الموضوع- أنه غير مرتبط، في أصل نزول الآية، بسببٍ ما.

وهذا المعنى يجب أن نُعنى به في تدبر القرآن الكريم من جهة، وينبغي أن يُفيدَ من تطبيقه الداعية والمسلم من جهةٍ أخرى، في أسلوب دعوته، وطريقته في البيان.

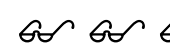

(٢١٦) ٢٩: الإسراء: ١٧.

القاعدة الخامسة

اشتراطُ فهْمِ النصّ مِن النصّ

من المهمّ اشتراط الإنسان على نفسه أن يستوحي الفهم للنص من النص نفسه، ومن بقية النصوص، فلا يُفسِّر نصوص الكتاب والسنة بمحضِ آرائه، وإنما بالكتاب والسنة، وهذا الشرط في تدبر النص، من أعظم المنطلقات الصحيحة المهمة لفهم نصوص الكتاب والسنة.

ويُمْكِن الاستدلال على هذه القاعدة بما تَقرَّرَ في الشرع من الأمر بالاتّباع، والنهي عن الابتداع، وهو من أهم ما انبنى عليه الإسلام مِن الأصول، وهو أصلٌ مطّردٌ حتى في مجال الاجتهاد المأذون، أو المأمور به شرعاً؛ لأن مِن شَرْط الاجتهاد الشرعيّ أن يكون مبنياً على دليل شرْعِيّ.

ومعنى هذه القاعدة: أن لا أُفسِّر الآية، أو الحديث، إلا بما تَدُلّ عليه الآية أو الحديث.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القاعدة السادسة

النظر إلى سياق الآية: سِباقها ولِحاقها

إنّ من المنهجية اللازم اتّباعها في تدبرِ القرآن الكريم -ويمكن تطبيقها في تدبر السنة النبوية كذلك-: مراعاةُ السياق الذي ورد فيه المعنى في النص؛ فلا يُعزلُ جزءٌ من الآية، مثلاً، عن سائر الآية، أو الآيات الواردة في سياق الحديث عن أمر ما، أو موضوع ما.

ومن الأمثلة على تطبيق هذا المنهج:

تدبُّرُ الآيات الآتية، بتطبيق هذا المنهج في فهمها، واستنباط دلالاتها المقصودة فيها:

قوله تعالى: ﴿...وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾(٢١٧).

قد يستدل بعض الناس، استدلالاً مخطئاً، بهذه الآية على أن الإسلام يتّجهُ إلى ذمّ العلم بأمور الدنيا والعناية به، ويَحْكُمُ بالترغيب شرعاً في الانصراف عن ذلك، وأنّ هذا ما تَدُلُّ عليه الآية هذه!

وهذا استدلالٌ خطأٌ، ولا شك، ومما يدل على خطئه أمران:

الأول: النظر إلى سِباق الآية ولِحاقها أي ما قبلها وما بعدها، والتأكد من مدلول الآية والمراد بها.

الثاني: الرجوع إلى بقية النصوص في الموضوع في ضوء ذلك.

فإذا فعلنا ذلك، فإننا سنُدْرِك أن المراد بالآية: ذم العناية بأمر الدنيا وعلومها إلى جانب إغفالِ أمر الآخرةِ، وإغفال العلم الشرعي بها،

(٢١٧) ٦-٧: الروم: ٣٠.

والغفلة عنه، فالمذموم هو الجمْع بين هذين المعنيين، فهذا مثالٌ من أمثلة المعاني المُركَّبة التي مضت الإشارة إليها(٢١٨).

والمرء مأمور بالعناية بالأمرين، ومتى أَخذَ بأحدِهما على حساب الآخر؛ فقد أخطأ حُكْمَ الشرع.

وبهذا نتبين أن من أسباب الخطأ في فهم النصّ، سببٌ خفيٌّ، قد لا يتنبه له بعض الناس، وهو عزْل النص عن جَوّهِ وسياقِه الذي وَرَدَ فيه، وعدمُ التنبه إلى أهمية النظر إلى ما قبله وما بعده من الكلام، للوصول لفهمه فهماً صحيحاً، وإدراكِ المراد به.

ومشكلةُ هذا النوع من الخطأ أنه خفيٌّ وموهِمٌ، لأن مَن يرتكبه يبدو له -كما قد يبدو للآخرين أيضاً- أنه يعتمد في فهمه على النص. ومما يوهمه ذلك، وقد يوهم الآخرين أيضاً، أن النص فعلاً تشتمل ألفاظُهُ على فكرته، أو على فهمه هذا كما هو، لكن منْ حيث هو ألفاظٌ فقط، أو من حيث النظر إلى الظاهريةِ الحرفيّةِ فقط، دُونَ الالتفات إلى التحقّق من المعنى المقصود بتلك الألفاظ!

ومن الأمثلة على تطبيق هذا المنهج:

تدبُّرُ الآيات الآتية، بتطبيق هذا المنهج في فهمها، واستنباط دلالاتها المقصودة فيها:

قوله تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَهۡوٗا وَلَعِبٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰهُمۡ كَمَا نَسُواْ لِقَآءَ يَوۡمِهِمۡ هَٰذَا وَمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٥١ وَلَقَدۡ جِئۡنَٰهُم بِكِتَٰبٖ فَصَّلۡنَٰهُ عَلَىٰ عِلۡمٍ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٥٢ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأۡوِيلَهُۥۚ يَوۡمَ يَأۡتِي تَأۡوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَآءَتۡ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلۡحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشۡفَعُواْ لَنَآ أَوۡ

(٢١٨) في القاعدة الأولى: ملاحظة المعاني المركبّة والمعاني المفردة معاً.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾﴾(٢١٩).

هذه الآيات الكريمة تحتاج إلى تأمّلٍ وتدبّرٍ، وينَبغي أن تُفْهم في ضوء سياقها الذي وردتْ فيه.

ولقد كنت طوال ما مضى من عُمُري في غفلةٍ من تطبيق هذا المعنى على قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾!؛ فما كنتُ أنتبه إلى أهمية تدبّر هذا في ضوء سياقه في الكتاب العزيز. وفي ليلة كنت أستمع إلى هذه الآية وما قبلها وما بعدها؛ فانتبهتُ إلى أهمية ربطها بسياقها؛ فظهر لي من دلالتها ما لم يكن ظاهراً، والحمد لله رب العالمين، فننظر إلى الآية في سياقها، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾؛ فهذا كلامٌ عن سُنن الله في الخلق، وأنه سبحانه هو مدبّرُ الكون كله: بسمائه وأرضه،

(٢١٩) ٥٠-٦٠: الأعراف: ٧.

وعرشه، وليل هذا الكون ونهاره، وشمسه وقمره ونجومه، ثم خَتمَ ذلك بقوله سبحانه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

فـ(الخلق) الذي أَخبَر اللّهُ أنه له وحده واضحٌ في الآية الإشارة إليه، ولكن، ما (الأمر) الذي أَخبَر اللّهُ أنه له وحده؟

قد يتبادر أنه هو الأمر الشرعيّ، وأنه في الآية قسيمٌ لـ(الخلق)، ولكن، سياق الآية يأبى هذا الفهم، وإنْ كان هو الشائع بين الناس؛ لأنّ السياق يَقضي بأنّ الأمر أعمُّ مِن أنْ يكون الأمر الشرعي؛ إذ أنه يَشمل كلاً مِن الأمر الشرعي، والأمر الكونيّ في الخلق، بل إنّ الآية نصّ على أنّ تلك الأجرام الكونية المذكورة في الآية ﴿مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾؛ فلماذا، إذَنْ، نَصْرِف دلالة الآية إلى الأمر الشرعي خاصة؟

وقد رُوي عن عمر بن الخطاب، ﷺ، أنّه قال بعد قراءة هذه الآية: "فمن استطاع أن يَخرُج بعد ذلك بشيء فليفعل!".

وهكذا قوله تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؛ فإنّ مِن الأهمية بمكان أن تُربَط بسياقها الذي وردتْ فيه، فهيّا بنا لِننظر في تدبرها على هذا النحو: يقول تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، هذا الكلام جاء في سياق الحديث عن الظواهر الكونية، والنظام الإلهي في تسييرها، وأنّ له الخلق والأمر. وهنا تساءلٌ، هو: ما إصلاح الأرض المنهي عن إفسادها بعده؟ وما دلالةُ سياق الآيات؟

والجواب هو، واللّه أعلم، أن الآية هذه مع بقية الآيات تدل على أنّ الإفساد في الأرض المنهي عنه يَشمَل كلَّ أنواع الإفساد في الأرض؛ فيَدخل فيه:

١- الإفساد بمخالفة نظام اللّه وقوانينه الشرعية، وذلك بارتكاب المعاصي التي نهى اللّه عنها، أو ترْك الطاعات التي أَمر اللّه بها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢- الإفساد بمخالفة قوانين الله في الخَلْق؛ وذلك بإحداث أيِّ نوعٍ من الإتلاف أو الإفساد في الأرض للظواهر الكونية في طبيعة الأرض والهواء والماء، وسائر المخلوقات على وجْه الأرض، كالذي تُحْدِثه الحروب الكبرى المعاصرة، التي تقوم بها بعض الدول الكبرى في هذا العصر، وكالتجارب العلمية الضارة، والتجارب النووية والبيولوجية، التي تُفسد مظاهر الحياة وأسباب الحياة الطبيعية، التي خَلق الله عليها الأشياء، والتي جَعَل الله عليها: حياة الإنسان، والحيوان، والنبات، والزروع، والهواء، وطبقات الجوّ، والماء في الأرض، والبحار!

وبهذا يتبين أنّ الله تعالى لم يأذَنْ بهذا الإفساد، وأنه سبحانه يَعُدّ تلك الأعمال إفساداً في الأرض ﴿بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾!

إنّ الإسلام جاء بالإصلاح، لا بالإفساد.

فجاء الإسلام بالأمر بمراعاة سنن الله الشرعية، وذلك إصلاحٌ للأرض بالأخلاق والطاعات والأعمال الصالحة النافعة في الدنيا وفي الآخرة.

كما جاء الإسلام بالأمر بمراعاة سنن الله في الخلق وسننه في الكون، وذلك إصلاحٌ للأرض بعدم خَرْق ما جعله الله من أسبابٍ لاستقامة الحياة على الأرض وتحت أديم السماء.

فمجموع هذا كله هو الصلاح الذي أشار الله تعالى إليه بقوله: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾!

وهذا معناه أنّ الله تعالى قد أَصلح الأرض بقوانينه وسننه في الخلق، وبما حدَّده للبشرية من نظام الشرع؛ فلا يكون في الأرض خللٌ إلا بإفسادٍ من الإنسان في هذين المجالين، أو في أحدهما!

القاعدة السابعة

معرفة مرجع الضمير في النصوص[٢٢٠]

مما ينبغي أن يتنبه له القارئ المتدبر، والباحث، العناية بمعرفة مرجع الضمائر التي تمر به في القرآن الكريم؛ لأن معرفة عَوْدِ الضمير شرطٌ لفهم معنى الكلام؛ فمن لم يَعْرف: إلى ماذا يَعودُ ضميرٌ ما في الكلام، أو حَمَله على غير مَرْجِعه، لم يَفْهم الكلام، أو اختلط عليه فَهْمه.

وتحديد موضوع الكلام، أو موضوع الآية، أحياناً يتوقف على معرفة مَرْجع الضمير فيه.

وهذا أمرٌ له أهميته كذلك في باب التصنيف الموضوعيّ للنصوص.

ومن الأمثلة على هذا:

قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٥١﴾﴾[٢٢١]، فتحديد موضوع الآية يتوقف على معرفة مَرْجع الضمير في لفظة (به)، وفَهْمُ الآية يتوقف على ذلك أيضاً.

فإلى ماذا يعود هذا الضمير؟ إن الجواب يتوقف على قراءة الآية التي قبل هذه الآية، وهي قوله سبحانه: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾[٢٢٢].

---

(٢٢٠) هذا الموضوع منقولٌ من كتاب "استخراج الآيات والأحاديث"، للمؤلف، الرياض، ط. الأولى، ١٤٢٥هـ، ص ٤٢-٤٧.

(٢٢١) ٥١: الأنعام: ٦.

(٢٢٢) ٥٠: الأنعام: ٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فالآن عرفنا موضوع الآية، وعرفنا معناها والمراد بها، وذلك بعد أن تبيّنّا المقصود بالضمير في ﴿بِهِۦ﴾ في الآية الأخرى، وأنه الوحيُ، أي القرآن: كلام اللّه. أي أنذرْ بهذا القرآن، الذي أوحيناه إليك، الذين يخافون أن يُحشروا إلى ربهم.

ومن خلال هذا البيان، أدركنا أن مثل هذه الآية -(٥١) من سورة الأنعام- يجب أن تُعَدَّ في التصنيف الموضوعيّ في الآيات المتعلقة بالقرآن، وأن تُعَدّ في الآيات المتعلقة بوحي اللّه تعالى، وأن تُحتَسبَ في الآيات المتعلقة بوسائل التذكير وطُرُقه، والآيات المتعلقة بالدعوة؛ فهل كان يُمْكن أن نفهم هذا الفهم لولا معرفتنا لمرجع الضمير؟ ولولا أَخْذُنا بهذه الملاحظة المهمة!

كلا.

وهل تَنَبَّه المصنفون للآيات القرآنية والأحاديث النبوية إلى هذا المعنى، أو المسلك، وراعَوْه في عملهم؟

وإذا لم يفعلوا، فهل يصح الاعتماد على عملهم اعتماداً كُلّيّاً، بحيث نَعُدُّه التصنيفَ النهائي الحاصرَ لموضوعات نصوص الكتاب والسنة؟

كلاّ، لا يصح ذلك، وإنما نستأنسُ بعملهم، ونُفيد منه، دون أن ننظُرَ إليه تلك النظرة.

وهكذا يتبيّن لنا أهمية الأخذ بهذه الملاحظة بالنسبة للراغب في تدبّر نصوص الكتاب العزيز، ونصوص السنة المطهّرة.

وكذلك الأمر بالنسبة للمشتغل بفهرسة هذه النصوص، فهرسةً موضوعية فقهيّة.

وكذلك الأمر -بصفةٍ مؤكَّدةٍ- بالنسبة للمترجِم لنصوص الكتاب والسنة إلى لغةٍ أخرى؛ كي لا يقع في تحريف معاني الكتاب والسنة.

وكذلك الأمر بالنسبة للمشتغل بالتفسير والشرح لهذه النصوص.

والضمير يحتاج تحديد مَرْجعه، أحياناً، إلى شيء من الدقة، والتأني وعدم العجلة، ويحتاج إلى قراءة النص وما قبله وما بعده، وإلى التعرف على سياقه، وتحديد موضوعه.

والضمير يعود أحياناً على اسمٍ ظاهر، وأحياناً يعود على اسمٍ مقدَّر، أو مفهوم من الكلام.

فهل أدركنا أن تحديد ما يعود عليه الضمير شرْطٌ لفهْم الكلام!

وهل أدركنا أهمية العناية بهذه الملاحظة لنَفْهَمَ ما نقرؤه وما نَسْمعه من آيات الكتاب العزيز، وأحاديث النبي ﷺ، وكلام المتكلمين والمؤلفين!

ومن الأمثلة:

كذلك، على الضمير، الذي يرتبط فهْم الكلام بتحديد مرجعه: الضمير في ﴿بِهِۦٓ﴾ أيضاً، في قوله تعالى: ﴿...وَذَكِّرْ بِهِۦٓ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌۢ بِمَا كَسَبَتْ...﴾[٢٢٣]. وهو عائد إلى القرآن أيضاً، المفهوم من الآية قبل الآية السابقة: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ...﴾، أو المفهوم من العهد الذهنيّ.

ومن الأمثلة على هذا:

قوله تعالى: ﴿وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾[٢٢٤].

فإن هاء الضمير في ﴿إِلَيْهِ﴾، و﴿وَلِيَرْضَوْهُ﴾ عائد إلى: ﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾، الذي يوحي به أعداء الأنبياء: من شياطين الإنس والجن إلى بعضهم، المذكور في الآية السابقة رقم (١١٢).

(٢٢٣) ٧٠: الأنعام: ٦.

(٢٢٤) ١١٣: الأنعام: ٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن الأمثلة على هذا:

قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾﴾[٢٢٥].

﴿الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ المقصود به القرآن الكريم. والضمير في قوله سبحانه: ﴿أَنَّهُ﴾ عائد إلى ﴿الْكِتَابَ﴾.

فهل الذين يفهرسون آيات القرآن فهرسة موضوعية، يَذْكرون هذه الآية فيما وَرَدَ من الآيات بشأن القرآن؟

الغالب أن هذا مما تنبو عنه الأذهان؛ فيحتاج إلى عنايةٍ خاصة به، وإلى تذكيرٍ، وتتبعٍ، وإلا فسيَظَلُّ عَمَلُنا في هذا الباب غير صحيح، بل ربما يتحول أحياناً إلى نوعٍ من تحريف القرآن -عن طريق العناية به- من حيث لا نشعر!

ومثل الضمير الظاهر في هذا، الضميرُ المستتر؛ فإن لكلٍّ منهما أهميّة في الدلالة على معنى الكلام، وذلك بمعرفة المقصود بهما.

ومثل الضمير في هذا أيضاً:

اللفظُ المَعْنِيُّ به أحدٌ أو شيءٌ، مع أنّ ذلك اللفظ في الأصل ليس اسماً له، مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾[٢٢٦]، وقوله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١٨٤﴾﴾[٢٢٧]، فقوله تعالى: ﴿بِصَاحِبِهِمْ﴾، وقوله: ﴿بِصَاحِبِهِمْ﴾ المقصود بكلٍّ منهما رسول الله ﷺ.

(٢٢٥) ١١٤: الأنعام: ٦.
(٢٢٦) ٤٦: سبأ: ٣٤.
(٢٢٧) ١٨٤: الأعراف: ٧.

وبناءً على هذا، فإن على من يصنّفُ الآيات تصنيفاً موضوعياً، أن يَعُدَّ مثل هذه الآيات ضِمْنَ ما ورد من القرآن متعلقاً بالرسول ﷺ، وعلى من يتدبر القرآن أن يتنبّه لهذا أيضاً.

وهكذا يقال في الآيات التي تتحدث عن أيّ موضوعٍ آخر، غير هذا الموضوع، بالأسلوب نفسه.

ومن الأمثلة على هذا أيضاً:

قوله تعالى: ﴿...وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا...﴾(٢٢٨)؛ فالآية تتعلق -فيما تتعلق به- بالقرآن، وإن لم يَرِدْ فيها تصريحٌ باسمه، لكنه هو المعنيُّ بقوله تعالى: ﴿مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾، فيقال في مثل هذا ما قيل في الأمثلة قَبْله.

ومن الأمثلة على هذا:

قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾(٢٢٩).

فالمقصود بالرسول النبي الأمّيّ في هذه الآية، وهاء الضمير في لفظة ﴿يَجِدُونَهُۥ﴾ محمد رسول الله ﷺ، فالآية تتحدث عنه، وهو موضوعها، وإنْ لم يُذْكر فيها اسمه، ولكن لا يُدْرِك هذا مَنْ لا يَعْرِف هذا.

(٢٢٨) ٦٤و٦٨: المائدة: ٥.
(٢٢٩) ١٥٧: الأعراف: ٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن الأمثلة كذلك:

الآية التي بعدها، في السورة نفسها، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾(٢٣٠).

فالمخاطَبُ في هذه الآية هو رسول الله محمد ﷺ، فالآية في شأنه، ولكن لا يُدْرِك هذا مَنْ لا يتنبَّهُ لذلك.

(٢٣٠) ١٥٨: الأعراف: ٧.

القاعدة الثامنة

لا ترادفَ في أَلفاظ القرآن

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «ومن الأقوال الموجودة عنهم[٢٣١]-ويجعلها بعض الناس اختلافاً-: أن يُعَبِّروا عن المعاني بأَلفاظ متقاربة لا مترادفة؛ فإنّ الترادف في اللغة قليل، وأَما في ألفاظ القرآن فإما نادر وإما معدوم، وقَلَّ أن يُعبَّر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه، بل يكون فيه تقريب لمعناه. وهذا من أسباب إعجاز القرآن؛ فإذا قال القائل: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩﴾[٢٣٢] إن المور هو الحركة؛ كان تقريباً إذ المور حركة خفيفة سريعة. وكذلك إذا قال: الوحي الإعلام، أو قيل: ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾: أنزلنا إليك، أو قيل: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[٢٣٣] أي أَعلمنا، وأمثال ذلك.

فهذا كله تقريب لا تحقيق؛ فإن الوحي هو إعلامٌ سريع خفيّ، والقضاء إليهم أخص من الإعلام؛ فإن فيه إنزالاً إليهم وإيحاء إليهم!

والعرب تُضمّن الفعل معنى الفعل، وتُعدّيه تعديته. ومن هنا غلط مَن جعل بعض الحروف تقوم مقام بعض، كما يقولون في قوله: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾[٢٣٤] و﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[٢٣٥] أَي مع الله، ونحو ذلك.

---

(٢٣١) أي: عن السلف في التفسير.

(٢٣٢) ٩: الطور: ٥٢.

(٢٣٣) ٤: الإسراء: ١٧.

(٢٣٤) ٢٤: ص: ٣٨.

(٢٣٥) ٥٢: آل عمران: ٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والتحقيق ما قاله نحاة البصرة من التضمين؛ فسؤال النعجة يتضمن جمعها وضمها إلى نعاجه، وكذلك قوله: ﴿وَإِن كَادُوا۟ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾[٢٣٦] ضُمِّن معنى "يُزيغونك ويَصُدونك"، وكذلك قوله: ﴿وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا﴾[٢٣٧]، ضُمِّن معنى "نجيناه وخلصناه"، وكذلك قوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾[٢٣٨] ضُمِّن "يَرْوي بها"، ونظائره كثيرة[٢٣٩].

ومن قال: ﴿لَا رَيْبَ﴾: لا شك، فهذا تقريب، وإلا فالريب فيه اضطرابٌ وحركة، كما قال: (دع ما يريبك إلى ما لا يَريبك)[٢٤٠] وفي الحديث (أَنه مَرَّ بظبيٍ حاقِف، فقال: لا يَربْه أحد)[٢٤١] فكما أن اليقين ضُمِّنَ السكونَ والطمأنينة، فالريب ضده. ولفظ (الشك) وإن قيل إنه يستلزم هذا المعنى لكن لفظه لا يدل عليه.

وكذلك إذا قيل: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾: هذا القرآن، فهذا تقريب، لأن المشار إليه وإن كان واحداً فالإشارة بجهة الحضور غير الإشارة بجهة البعد والغيبة، ولفظ "الكتاب" يتضمن من كونه مكتوباً مضموماً ما لا

---

(٢٣٦) ٧٣: الإسراء: ١٧.

(٢٣٧) ٧٧: الأنبياء: ٢١.

(٢٣٨) ٦: الإنسان: ٧٦.

(٢٣٩) يُنظر، مثلاً، في هذا المعنى تفسير الآيات في كتب التفسير، مثل: تفسير القرآن العظيم، للإمام ابن كثير.

(٢٤٠) نص حديث أخرجه الترمذي -وغيره-، ٢٥١٨، صفة القيامة، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي من حديث الحسن بن علي. وفي البخاري معلقاً: "قال حسان بن أبي سنان البصري -أحد العباد في زمن التابعين- ما رأيت شيئاً أهون من الورع، دع ما يريبك إلى ما لا يريبك" لم يرفعه. ينظر: فتح الباري: ٤/٢٣٤.

(٢٤١) سنن النسائي، ٢٨١٨، مناسك الحج، وصحح إسناده الألباني في صحيح سنن النسائي، والحاقف: المنحني في وقوفه، أو الذي لجأ إلى حُقْفٍ، وهو ما انحنى من الرمل. أو هُوَ الْوَاقِفُ فِي ظِلِّ الْمَغَارَةِ يَلْتَمِسُ ظِلَّهَا. ينظر: المنتقى شرح الموطأ، في شرحه للحديث رقم ٦٨٧.

يتضمنه لفظ القرآن من كونه مقروءاً مُظهَراً بادياً. فهذه الفروق موجودة في القرآن.

فإذا قال أحدهم: ﴿أَن تُبْسَلَ﴾[٢٤٢] أي تُحْبَس، وقال الآخر: تُـرْتَهن، ونحو ذلك؛ لم يكن من اختلاف التضاد، وإن كان المحبوس قد يكون مرتَهَناً وقد لا يكون؛ إذ هذا تقريب للمعنى كما تقدم.

وجَمْع عبارات السلف في مثل هذا نافعٌ جدّاً؛ فإن مجموع عباراتهم أدلُّ على المقصود من عبارةٍ أو عبارتين، ومع هذا فلابد من اختلافٍ محَقَّقٍ بينهم، كما يوجد مثل ذلك في الأحكام))[٢٤٣].

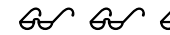

(٢٤٢) ٧٠: الأنعام: ٦.

(٢٤٣) مقدمة في أصول التفسير، للإمام ابن تيمية:٥١-٥٤. ط. د.عدنان زرزور، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط. الثانية، ١٣٩٢هـ-١٩٧٢م.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القاعدة التاسعة

التنبّه إلى ما جاء مِن تفسير ألفاظ القرآن في القرآن نفسه

- جاءت في القرآن الكريم ألفاظٌ مفسَّرةٌ في القرآن نفسه. وذلك على نوعين: الأول: ما جاء تفسيره في القرآن بعد ذِكْره مباشرةً، والثاني ما جاء تفسيره في القرآن في موضعٍ آخر، أو مواضعَ أُخَر.
والذي أَردتُ التنبيه عليه هنا هو النوع الأوّل (ما جاء تفسيره في القرآن بعد ذِكْره مباشرةً)؛ لأهمية التنبّه له؛ لكونه مما قد يَغْفل القارئ عنه.
- ومِن هذه الألفاظ القرآنية المفسَّرة في القرآن عقبها مباشرة: لفظة (الظَّالمين) في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾[٢٤٤] حيث فسرها في الآية بعدها، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٩﴾﴾.
وهذا باب مهم لو جُمِعَ فيه كتاب لكان جميلاً.
- ومِن الألفاظ المفسَّرة في القرآن عقبها قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ في الآية: ١٨: الرعد: ١٣. ثم ذَكَرَ أوصافهم في صفحة كاملة. أو الاسم الموصول في الآية ١٩: الرعد ١٣، في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ...﴾. ثم ذَكَرَ أوصافهم في صفحة إلى نهاية الآية ٢٩.

---

(٢٤٤) ١٨: هود: ١١.

- ومِن الألفاظ المفسَّرة في القرآن عقب ذكرها كذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾[٢٤٥]، ثم بينها فقال: ﴿جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ۝٢٩﴾[٢٤٦].
- ومِن الألفاظ المفسَّرة في القرآن عقب ذكرها، كذلك، ما جاء في قوله تعالى: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ۝١٠﴾[٢٤٧]، ثم فسَّر ذلك بعده مباشرة، بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ۝١١ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ۝١٢ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ۝١٣﴾[٢٤٨]. لكن، يُلاحَظ أنّ هذا وصْفٌ لهم، لا تفسيراً مطابقاً لهم على طريقة الْحَدّ والمحدود، والله أعلم.
- ومِن الألفاظ المفسَّرة في القرآن عقب ذكرها كذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ۝١٥﴾[٢٤٩]، ثم فسَّرَ بعدها المقصود بـ(المسرفين)، فقال سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾[٢٥٠]، ويُحتمل أن يكون هذا وصفاً لهم مضافاً، لا تفسيراً.
- ومِن الألفاظ المفسَّرة في القرآن الكريم لفظة (المؤمنون) في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۝٣﴾[٢٥١].

---

(٢٤٥) ٢٨: إبراهيم: ١٤.

(٢٤٦) ٢٩: إبراهيم: ١٤.

(٢٤٧) ١٠: الذاريات: ٥١. ثم جاء تفسيرها بعدها في الآيات: ١١-١٣.

(٢٤٨) ١١-١٣: الذاريات: ٥١.

(٢٤٩) ١٥١: الشعراء: ٢٦.

(٢٥٠) ١٥٢: الشعراء: ٢٦.

(٢٥١) ٢-٣: الأنفال: ٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

○ ومِن الألفاظ المفسَّرة في القرآن الكريم لفظة (أولُوا الألباب) في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ ثم فَسَّرَها بالآيات بعدها إلى نهاية الآية (٢٢) ﴿ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾. ومِنْ الأمثلة كذلك: قوله تعالى في هذه الآية: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾﴾، ثم فسَّرها بعدها بقوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾.

إلى غير ذلك من الأمثلة الكثيرة لهذا الأسلوب في الكتاب العزيز.

المبحث الرابع
لَفَتاتٌ في أساليب القرآن الكريم

اللفتة الأولى
مِن أساليب البُشْرى في القرآن

الأصل في البُشرى، أن تكون بالخير وما يَسُرُّ؛ ولهذا قد جعلها الله تعالى من ثواب عباده المؤمنين الموحّدين، وذلك في الآخرة، يوم القدوم عليه سبحانه؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾﴾(٢٥٢).

وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾(٢٥٣).

ولكنّ هناك أسلوباً آخر من أساليب القرآن الكريم في التعبير عن البُشْرى، وفي التعبير عن الكسب، وهو ما جاء في مثل قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(٢٥٤)، وفي مثل قوله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا۟ قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا۟ كَثِيرًا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾(٢٥٥).

الأصل في البشارة أن تكون بالخير، ولكنّ البلاغة في كتاب الله تعالى جاءت هُنا على هذا الأسلوب في تقريع المجرمين وتهديدهم،

(٢٥٢) ١٧: الزمر: ٣٩.
(٢٥٣) ١٢: الحديد: ٥٧.
(٢٥٤) ٢١: آل عمران: ٣، و٣٤: التوبة: ٩، و٢٤: الانشقاق: ٨٤.
(٢٥٥) ٨٢: التوبة: ٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بحيث تأتيهم البشرى بالعذاب الأليم!

والأصل في الكسب أن يكون في تحصيل الخير والفلاح والظَّفَرِ، ولكن البلاغة في كتاب اللّه تعالى جاءت هُنا على هذا الأسلوب، في تصوير واقع هذا الصنف من الناس حيث يكون كَسْبُهمَ كَسْبَ شرٍّ وعذابٍ وشقاء، لا كَسْبَ خيرٍ ونعيم وسعادة!

ولْيَبكوا كثيراً جرّاء كَسْبِهم هذا!

اللفتة الثانية

من مظاهر الدقة في القرآن

من مظاهر الدقة في القرآن الكريم، طريقته في الإطلاق والتقييد، والاحتراز، والاستثناء، وذلك على ما يشْهد به أمثال الآيات التالية:

▫ قوله تعالى: ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾﴾[٢٥٦]، لقد جاء التعبير القرآني في صورةٍ من الدقة بحيث لا يترتب على الإثبات فسادٌ، ولا يترتب على النفي فساد، وذلك نظراً لدقة الإطلاق والتقييد، والاحتراز والاستثناء.

▫ وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾﴾[٢٥٧].

انظر مثلاً إلى قوله سبحانه: ﴿لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ﴾، كيف أن التعبير القرآني لم يقتصر على إثبات هذا المعنى أو نفيه، وإنما أردفه بقوله سبحانه: ﴿وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ﴾ كي لا يتوهم السامع أو القارئ احتمال استطاعتهم أن يكفّوا النار عن ظهورهم -أي: عكس المعنى الأول المنفيّ-؛ لاحتمال أن يُظَن أنهم لا يستطيعون كف النار عن وجوههم أي: عن أنفسهم من أمامهم، لكنهم يستطيعون كفها عن ظهورهم، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ﴾، وهذا يعني أن النار تغشاهم من كل جانب.

ثم انظر كيف جاء الإحكام في التعبير عن ﴿لَا يَكُفُّونَ...﴾ و﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾؛ فإنه لَمّا لم يكن هناك تلازم بين عجز هؤلاء الكفار

(٢٥٦) ٣٩: الأنبياء: ٢١.
(٢٥٧) ٤٣: الأنبياء: ٢١.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المعذَّبين وبين عجز غيرهم، جاء التعبير القرآني قاطعاً لكل احتمالٍ في إثبات الحقيقة واضحةً لا احتمال فيها؛ وذلك بالنص على أن هؤلاء الكفار المعذَّبين بالنار، لا يستطيعون أن يَكُفوا عن أنفسهم النار، كما أنهم لا ينصرهم أحدٌ؛ فإذَنْ هم عاجزون، وعذابهم محقَّقٌ، وليس لهم ناصر!!.

▫ وقوله تعالى: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾[٢٥٨].

جاءت فيها الدقة عجيبة في التعبير عن المعنى المراد، وهو أمْره تعالى للنار بأنها لا تكون مضرَّةً بإبراهيم عليه السلام بإحراقها وحرارتها، فأمرها أن تكون عليه بنقيض ما أراده المحرِّقون، أمرها أن تكون بَرْداً، وفي الوقت نفسه نفى -سبحانه- الاحتمال الآخر، وهو أن تضرّ خليله ببردها، فقال سبحانه: ﴿... بَرْدًا وَسَلَامًا...﴾!.

▫ ومن مظاهر الدقة في آيات الكتاب العزيز: ما يَتَبَيَّنُ باستقراء بعض الاستعمالات في القرآن الكريم كلّه، ومن ذلك ما يَدُلُّ عليه: تأمّلٌ في مواضعِ السجودِ في القرآن الكريم؛ فمَنْ تأمَّل مواضع السجود في القرآن الكريم انكشف له دقة القرآن الكريم، ودقة أحكامه، والعنايةُ الدقيقةُ بموضوع توحيد الله تعالى؛ ذلك أن مواضع السجود كلها جاءت في مواضعَ مناسبةٍ دقيقة، ذات علاقةٍ مع قضية توحيد الله تعالى؛ لذا لم يأتِ شيءٌ منها في مواضعَ يَشْتَبِه فيها تعظيم المخلوق بتعظيم الخالق!

وهكذا، دائماً تأتي هذه الدقة في الكتاب العزيز بليغةً في التعبير عن المعاني.

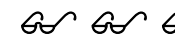

(٢٥٨) ٦٩: الأنبياء: ٢١.

اللفتة الثالثة

الإيمان والعمل الصالح

آيات الله في كتابه كثيراً ما تَذْكر الإيمان والعمل الصالح، فتقرنهما ببعضٍ، إذْ لا يُغْني أحدهما عن الآخر، ولكنّ الله تعالى يُقَدّم ذِكْر الإيمان على العمل فيقول: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾، وقد وَرَدَ هذا اللفظ في آيات كثيرةٍ جداً، بَلَغَتْ نحو ٤٩ موضعاً(٢٥٩)، ولا يقول: الذين عملوا الصالحات وآمنوا! لأن العمل إنما يكون صالحاً إذا صَدَر عن الإيمان، فالعمل الصالح فرعٌ عن الإيمان بالله تعالى، وثمرة لازمةٌ له، وبدون الإيمان لا يَقْبل الله العمل، والإيمان بالله بدون عمل صالح لا يُنْجي صاحبه من عذاب الله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾(٢٦٠).

(٢٥٩) منها: ٢٥ و٨٢ و٢٧٧: البقرة: ٢، و٥٧: آل عمران: ٣.

(٢٦٠) ١-٣: العصر: ١٠٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اللفتة الرابعة

المقابلة بين المحسوس والمعنويّ

من أساليب البيان في القرآن الكريم، المقابَلةُ بين المحسوس والمعنوي، أو الربط بينهما، في أعلى درجات الصُّوَرِ البلاغيّة والأساليب التربوية المؤثرة، ومن أمثلة ذلك:

▫ قوله تعالى: ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨ وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩﴾[٢٦١].

قال ابن كثير -رحمه الله تعالى-: «لمّا ذكر تعالى من الحيوان ما يُسارُ عليه في السبل الحسية، نبّه على الطُّرُقِ المعنوية الدينية، وكثيراً ما يقع في القرآن العبور من الأمور الحسية إلى الأمور المعنوية النافعة الدينية، كقوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾[٢٦٢] وقال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[٢٦٣].

ولَمّا ذَكَر تعالى في هذه السورة الحيوانات من الأنعام وغيرها، التي يركبونها ويَبْلغون عليها حاجةً في صدورهم، وتحْمل أثقالهم إلى البلاد والأماكن البعيدة والأسفار الشاقة؛ شَرَع في ذكر الطرق التي يسلكها الناس إليه، فبين أن الحق منها ما هي موصلة إليه، فقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[٢٦٤]، كقوله: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا

(٢٦١) ٨-٩: النحل: ١٩.
(٢٦٢) ١٧٩: البقرة: ٢.
(٢٦٣) ٢٦: الأعراف: ٧.
(٢٦٤) ٩: النحل: ١٦.

صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾(٢٦٥)، وقال: ﴿قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾(٢٦٦).

قال مجاهد في قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ قال: طريق الحق على الله، وقال السدّيّ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ الإسلام، وقال العوفي عن عبدالله ابن عباس في قوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ يقول: وعلى الله البيان، أي يبيّن الهدى من الضلالة. وكذا روى علي بن أبي طلحة عنه. وكذا قال قتادة والضحاك، وقولُ مجاهد ههنا أقوى من حيث السياق؛ لأنه تعالى أَخبر أن ثم طُرُقاً تُسْلك إليه، فليس يصل إليه منها إلا طريق الحق، وهي الطريق التي شَرَعَها ورَضِيَها، وما عداها مسدودةٌ، والأعمال فيها مردودة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾ أي: حائد مائل زائغ عن الحق، قال ابن عباس وغيره: هي الطرق المختلفة والآراء والأهواء المتفرقة، كاليهودية والنصرانية والمجوسية...))(٢٦٧).

(٢٦٥) ١٥٣: الأنعام: ٦.
(٢٦٦) ٤١: الحجر: ١٥.
(٢٦٧) تفسير القرآن العظيم: ٥٦٣/٢. والمقصود هنا بقوله: "اليهودية والنصرانية" أي: بعد تحريفهما، لا قَبْله.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اللفتة الخامسة

الإحكام في ترتيب الألفاظ

▫ قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾(٢٦٨).

سبحانه ما أعظم قُدْرتَهُ؛ إن هذه الدقة في التعبير الكريم قد لا تَقِلُّ عن شأن الإعجاز في هذا الخَلْق، فانظر كيف قال سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾، ولم يقل ﴿بِٱلَّيْلِ﴾ فقط؛ لأن الإنسان قد ينام بالنهار أيضاً. ولكنّ الأصلَ أن يكون النوم بالليل؛ ولذلك قدّمه في الذِكْر، إنها دقّة القرآن الكريم!

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ عطْفٌ على ﴿مَنَامُكُم﴾. وظَرْفُ الابتغاء من فضل الله -أي طلبُ الرزق- هو الليل والنهار؛ ولهذا ذُكر معهما، ولكن ما قيل في النوم يقال في الابتغاء، فالابتغاء يكون في الليل والنهار، ولكنّ الأصلَ فيه النهار؛ ولهذا جاء في الآية بعده مباشرة. فتبارك الله رب العالمين!

▫ قوله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾(٢٦٩).

تأمّلْ قوله: ﴿مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾؛ حيث قَدَّم الليل على النهار؛ ليكون السكون أقرب إلى الليل من النهار، الذي قال فيه: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا﴾(٢٧٠).

---

(٢٦٨) ٢٣: الروم: ٣٠.
(٢٦٩) ١٣: الأنعام: ٦.
(٢٧٠) ٩٦: الأنعام: ٦.

ولاحِظْ أن ذلك كلّه لله، لكنه رتَّبها في الذِّكْر هذا الترتيب؛ لِتَشْهَد هذه الدِّقّة في هذا الكتاب أنه من عند الله سبحانه! وإنك حينما تبحث في القرآن لن تَجِد آيةً تَعْكس هذا الترتيب!

▫ قوله تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ ۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾[٢٧١].

تَأمَّلْ قوله تعالى: ﴿كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾؛ مَعَ أنّ أصل كذبتهم هذه افتراء على الله تعالى؛ لأنهم أَشركوا بالله تعالى، وقد قال تعالى قبل هذه الآية: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[٢٧٢]؛ فهم هنا يكذبون على الله، لكنّ الآية ذكرتْ أنّ ذلك كذبٌ منهم على أنفسهم؛ لأنّ هذا الكذب وإن كان كذباً على الله؛ إلا أنه غير قابلٍ أن يكون على الله؛ فيتحول إلى كذبٍ منهم على أنفسهم؛ لأن هذا هو حالهم من قبل، حين أشركوا مع الله غيره؛ فالله ليس له شريكٌ، لكنهم أقنعوا أنفسهم بالكذب عليها، وإيهامها أنّ الله له شركاء، تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً!.

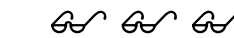

(٢٧١) ٢٤: الأنعام: ٦.
(٢٧٢) ٢٣: الأنعام: ٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اللفتة السادسة

الإعجاز في الإطلاق غير المقيَّد

▫ قوله تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾(٢٧٣).

مثالٌ على العموم المحكَم، فلم يُبيِّن ﴿تَهْتَدُوا۟﴾ إلى ماذا؟ وذلك ليشمل الهداية إلى الصراط المستقيم في الدنيا وفي الآخرة؛ ويشمل الهداية إلى كل سبيل من سُبُل الهداية!

ولم يُبيّن ﴿تُطِيعُوهُ﴾ في ماذا؟ ليشمل كل مجالات الطاعة، أي الطاعةَ في كل شيء، طاعةً عامة شاملة لا استثناء فيها!

وهنا نلاحظ التجانس بين السبب والنتيجة، والعمل وجزائه!

▫ وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾(٢٧٤).

إن مثل هذه الآية من شواهد الدقة المعجزة في الكتاب العزيز!

لم يقل سبحانه: ﴿ءَامَنُوا۟﴾ فقط؛ وإنما قال: ﴿ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾؛ لأن الإيمان مجرّداً لا يكفي، بل لابد من العمل بمقتضى ذلك الإيمان، ولذلك يتكرر في القرآن الكريم وصْف المؤمنين وعباد الله الصالحين بالإيمان والعمل الصالح، فَهُما قرينان لا يفترقان في حكم الله وشرعه.

وهنا يقول سبحانه: ﴿ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾ فلابدّ أن يقترن الإيمان بالتقوى، ولا جَدْوى من إيمان لا يَحْمل صاحبَه على التقوى.

---

(٢٧٣) ٥٤: النور: ٢٤.

(٢٧٤) ٩٦: الأعراف: ٧.

والتقوى معنىً يستقر في النفسِ وتظهر آثاره على جـوارح الإنسـان؛ فيراها الناس عملاً صالحاً، وبِرّاً واستقامةً واجتهاداً في القيام بحق اللّه تعالى بعامّةٍ، سواءٌ أَتَعَلّق بالشعائر التعبدية أم بسـواها، وتَعَلَّـق بإعمـار الآخرة، أم بإعمار الدنيا مِن أجْل إعمار الآخرة.

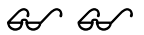

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اللفتة السابعة

ألفاظٌ على غير ظاهرها

قد جاءت في القرآن ألفاظٌ، المراد بها غير المتبادرِ إلى الذهن من ظاهرِها؛ ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

- قوله تعالى: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ۚ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ...﴾[٢٧٥].

يَفْصِلُ بينكم جاءت في مواضع من القرآن بمعنى: يَحْكم بينكم أو يَقْضي بينكم. لكن المراد بها هنا ليس هذا المعنى، وإنما (يَفْصِلُ بينكم): أي يُفَرِّقُ بينكم، فيُدْخِل أهلَ طاعته الجنة، وأهلَ معصيته النار[٢٧٦].

- قوله تعالى: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾[٢٧٧].

المعنى المراد هنا بـ﴿يَظْلِم﴾ أي: يكفر "[٢٧٨].

- قوله تعالى: ﴿...وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا ...﴾[٢٧٩].

«(العَدْلُ) بالفتح ما عادَل الشيءَ وساواه من غير جنسه، والمعنى: وإنْ تَفْدِ النفسُ المُبْسَلَة كلَّ نوع من أنواع الفداء لا يؤخذ منها، أي: لا يقع الأخذ منها، ولا يَحْصل. ويجوزُ أن يضمَّن الأخذ معنى القبول.

---

(٢٧٥) ٣: الممتحنة: ٦٠.

(٢٧٦) معالم التنْزيل، للبغوي، تحقيق وتخريج: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط. الرابعة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م، في تفسيره هذه الآية.

(٢٧٧) ١٩: الفرقان: ٢٥.

(٢٧٨) يُنظر: تفسير الطبري: ١٤٤/١٨، وزبدة التفسير من فتح القدير.

(٢٧٩) ٧٠: الأنعام: ٦.

والمراد من هذه الآيات، وما في معناها: إبطال أصلٍ من أصول الوثنية، وهو تعليق النجاة في الآخرة بتقديم الفدية أو بشفاعة الشافعين، وتقريرُ أصْل الدّين الإلهي، وهو أن النجاة في الآخرة ورضوان الله والقرب منه لا تُنال إلا بما شرعه الله على ألسنة رسله من الإيمان والإسلام))[٢٨٠].

- قوله تعالى: ﴿لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ﴾[٢٨١]، أي: مسوِّدة لظاهر الجلود، محرقة إياها.
- قوله تعالى عن أصحاب الجحيم: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾[٢٨٢]، أي: لم نكن من أتباع النبيين، -ومن سِمَتُهُم الصلاة-.
- قوله تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ﴾، حيث أصاب، أي: حيث أراد.

(٢٨٠) مختصر تفسير المنار: ٤٨٨/٢.
(٢٨١) ٣١: المدثر: ٧٤.
(٢٨٢) ٤٥: المدثر: ٧٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اللفتة الثامنة

استعمالاتٌ لم تَرِدْ في القرآن الكريم

باستقراء القرآن الكريم، يَتَبَيَّنُ أنّ هناكَ استعمالاتٍ وأساليبَ لغويةً واردةٌ في القرآن الكريم، وبعضُها واردٌ فيه بكثرة، وأنّ هناكَ أساليبَ واستعمالاتٍ لغوية لم تَرِدْ فيه، وهنا إشارةٌ سريعةٌ لبعضِ الاستعمالات التي لم تَرِدْ فيه، فمِن ذلك:

تقديمُ النهارعلى الليل في الذِّكْرِ(النهاروالليل):

فلم يَرِد في القرآن: (النهار والليل) -بالعطف المباشِرِ- ولو مرة واحدة، كما يتبين من الرجوع إلى برنامج القرآن الكريم على الحاسوب، وإنما وردت الصيغة في القرآن كُلِّه بتقديم الليل على النهار: (الليل والنهار)، وهذا له دلالة ينبغي دراستها- إنّ ربك حكيم عليم- وقد وردتْ هذه الصيغة (الليل والنهار) في القرآن الكريم مكررةً سبع عشرة مرة.

وأمَّا ذِكْرُ الليل مع النهار بغير أسلوب العطف؛ فقدْ تبيَّن بالبحث أنّ الغالب أنْ يُقَدَّم الليل على النهار أيضاً، فسبحان العليم الخبير!

ولا بدَّ أن يكون في هذا الاستعمال القرآني المُطَّرِد سِرٌّ أو أسرارٌ، اللّه بها عليمٌ، وينبغي الوقوف عند هذا ودراسته.

تقديمُ البصرعلى السمع:

فلم يَرِد في القرآن تقديم البصر على السمع في الذِّكْرِ، وإنما يُقَدِّم السمع على البصر، كما في:

-قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ

عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾(٢٨٣).

-وقوله تعالى: ﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾(٢٨٤).

-وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴾(٢٨٥).

-وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(٢٨٦)، وغير هذه الآيات؛ حيثُ وردتْ الصيغةُ بهذا الترتيب في القرآنِ كثيراً.

فكُلُّ هذه الآيات جاءت بتقديم السمع على البصر، ويُلاحَظُ أنّ الكلامَ فيها كُلّها يتعلقُ بالمخْلوقِين، ولا يتعلق بوصْف الخالِق سبحانه وتعالى.

لكنْ جاء مرةً في القرآن الكريم تقديمُ البصر على السمع في قوله تعالى: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ﴾(٢٨٧)، وبتأمُّل الموضوع والموضع الذي ورد فيه هذا التقديم للبصر على السمع؛ يتبين أنّه يتعلق بوصْفِ الله تعالى؛ ولا بدَّ أن يكونَ هذا التقديم، بخلاف الاستعمال القرآني، لِحِكْمَةٍ يعلمُها الله تعالى، ويبدو -والله أعلم- أنَّ في هذا التقديم للبصر على السمع في هذا الموضع خاصَّةً هو الإشارة إلى أن الله عز وجل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾.

(٢٨٣) ٣٦: الإسراء: ١٧.
(٢٨٤) ٢٠: البقرة:٢.
(٢٨٥) ١٠٨: النحل: ١٦.
(٢٨٦) ٢٠: فصّلت: ٤١.
(٢٨٧) ٢٦: الكهف: ١٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- حكايةُ قولِ امرأةٍ باسمها صريحاً:

فلم يَرِد في القرآن: (قالت مريم) أو غيرها من النساء باسمها. وإنما ورد نحو قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ﴾ . ﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ﴾، ﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ﴾.

وبتأمُّلِ هذا الأُسْلُوب، رُبَّما يدلُّ على الإشارة إلى الحرص على المرأة، وأنَّ المفترَضَ أن تكون في كنفِ مَن يحْميها، ويحْفَظُها، ممَّن له حقُّ الولاية عليها، ممَّن هو أهلٌ لهذه المهمة من ذوي قرابتِها؛ وذلك لحاجتِها لوَلِيٍّ له حقُّ القِوامَة؛ وهذا مِن لُطْفِ اللَّطيف الخبير سبحانه: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾.

اللفتة التاسعة

مِن روائع البيان في آيةٍ مِن كتاب الله(٢٨٨)

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(٢٨٩).

ذكر علماء اللغة والبيان عنها ما يلي:

١-أنها الآية الوحيدة التي خالفت بقية الآيات، التي تبدأ بسؤال الناس للنبي الكريم ﷺ، حيث كلها تأتي بصيغة: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾مثل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ... ﴾ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ...﴾، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ...﴾، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ ...﴾، ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ...﴾، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ...﴾، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ... ﴾، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ... ﴾، ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ...﴾.

إلا هذه الآية! فمن عظمة الله أنه سبق المؤمنين بالسؤال، وهم لم يسألوا بعدُ! وكأنه سؤالٌ افتراضيٌّ، فإنّ الله هو الذي وضع السؤال، وبادر بالإجابة من قَبْل أن يُسأل؛ حباً منه للدعاء ولسرعة الإجابة! فانظر إلى واسع رحمته!

٢- على غرار: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾، كان القياس أن يقول: (وإذا سألك عبادي عني فقل ربي قريب يجيب دعوة الداع)، لكنه تبارك وتعالى تكفل بالإجابة بنفسه، وقال: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ

(٢٨٨) موضوعٌ منشورٌ في موقع: ملتقى أهل التفسير، بعنوان: "من روائع البيان في قوله تعالى ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان﴾"، محمد حسن الحسن، 18/01/1433 - 13/12/2011, 01:19 pm.

(٢٨٩) ١٨٦: البقرة: ٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾، فابتدأ جوابَه بأنه قريب؛ للدلالة على عدم حاجته للوسطاء والأولياء أولاً، وللدلالة على حفاوته بالدعاء وبالسائلين ثانياً. فلم يَتحدّث بضمير الغائب عن ذاته، فلم يقل: (يجيب دعوة الداع)؛ لأنه يدل على البعد والعلو، بل نسبَها لنفسه؛ للدلالة على دنوّه وقربه من السائلين!

٣- أنه تعالى لم يُعلّق الإجابة بالمشيئة، كأنْ يقول: (أجيبه إنْ أشاء)، بل قطَع، وأكّد بأنه يجيب دعوة الداع.

٤- أنه قدّم جواب الشرط على فعْل الشرط، فلم يقل: (إذا دعان أستجب له)، وذلك للدلالة على قوة الإجابة وسرعتها.

٥- أنه قال: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾، ولم يقل: (أجيب دعوة الداع إن دعان)، **وفي هذا معانٍ بلاغية غايةٌ في الدّقة**، منها:

-أنه استخدم أداة الشرط (إذا)، ولم يستخدم أداة الشرط (إنْ)، فما الفرق بينهما؟

السبب أنّ **(إنْ) تُستخدم للأَحداث المتباعِدة، والمحتملة الوقوع، والمشكوك فيها، والنادرة، والمستحيلة**، كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾، وقوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾؛ لأنّ الأصل عدم اقتتال المؤمنين، وقوله: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾، ولم يقل: ((إذا) استقر مكانه) وقد علمنا أن الجبل دُكّ دكاً! وكقوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا﴾.

-بينما (إذا) تعني: المضمونَ، أو المتيَقَّنَ، حصولُهُ، أو كثيرَ الوقوع:

-مثل قوله: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾؛ لأن الموت واقع لا محالة!.

-وقوله: ﴿وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ﴾.

-وقوله: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ﴾.

-وقوله: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ﴾.

-ولذلك نرى أن كل أحداث يوم القيامة تأتي بـ (إذا)، ولم تأت بـ (إنْ)، مثال ذلك:

-قوله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾.

-وقوله: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣...﴾.

-وقوله: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾.

وغيرها من أحدث يوم القيامة، حيث لم يأت أيٌّ منها بأداة الشرط (إنْ)؛ لأنها تحتمِل الندرة، وتحتمل عدم الوقوع.

ومن روعة هذا البيان هو حينما تأتيَان معاً في موضعٍ واحدٍ؛ فيَستخدم **(إذا)** للكثرة، و**(إنْ)** للنُّدْرة، مثل:

-قوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ... وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا﴾؛ فجاء بـ (إذا) للوضوء لأنه كثير الوقوع، و(إنْ) للجنب لأنه نادر الحصول.

-ومثل قوله: ﴿فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ﴾، فالإحصان متكرر، والفاحشة من النوادر!

فمِن هذا، نَفهم أن المعنى من قوله تعالى: ﴿إِذَا دَعَانِ﴾ أنه يشير إلى كثرة الدعاء، وبأنه دعاءٌ متكرّرٌ مستمرٌ كثيراً، وليس نادراً قليلاً! لأن اللّه يَغضب إنْ لم يُدْعَ، والقلب الذي لا يدعو قلبٌ قاسٍ، ألم تر إلى قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ۝٤٢ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾، وقوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾.

٦- ثم لاحِظْ أنه قال: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾، ولم يقل (أُجيب الداع)! لأن الدعوة هي المستجابة، وليس شخص الداع، وفي هذا إشارةٌ دقيقة جداً إلى مكانة الدعوة، بغضِّ النظر عن شخصية الداعي!

٧- قال: ﴿عِبَادِى﴾، بالياء، ولم يقل: ﴿عبادِ﴾؛ فما الفرق؟.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿عِبَادِى﴾، تشير إلى عددٍ أكبر من ﴿**عباد**﴾، فالياء تعني أن مجموعة العباد أكثر، أي يجيبهم كلَّهم، على اختلاف إيمانهم وتقواهم:

-كقوله تعالى للدلالة على الكثرة: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ والمسرفون كُثُرٌ.

-وكقوله: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾؛ لأن أكثرهم يجادل، أما للقلة فيقول: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ﴾ وهؤلاء قِلّة.

-وقوله: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ والمتقون قلّة!.

٨- لاحظ أنه قال: ﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ﴾، وكان القياس أن يقول: (أُجيب دعوتهم)! وذلك للدلالة على أنه يجيب دعوةَ كلِّ داعٍ، وليس دعوةَ السائلين فقط، فوسَّع دائرة الدعوة، ولم يَقْصُرها على السائلين.

٩- قال: ﴿فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾، ولم يقل (أنا قريب)، وهذا توكيدٌ بـ (إنّ) المشددة للتوكيد، لأنّ (أنا) غير مؤكَّدة.

١٠- أن الآية توسّطتْ آياتِ الصومِ، وهذا يعني أن الدعاء دَيْدَنُ الصائم، وأن للصائم دعوةً لا تُرَدّ، كما ورد في الأثر: (ما لم تكن بقطيعةِ رحمٍ).

الدعاء شعارُ الصائمين، ومن عَظَمَة الدعاء، ومنزلته عند الله، أنّ الله أَحاطه بآياتِ الصومِ، الذي قال عنه في الحديث القدسي: (الصوم لي وأنا أجزي به)؛ لأن الصوم من شعائر الإخلاص لله؛ لأنه شَعيرةٌ غير ظاهرةِ الأثر في صاحبها، ما لم يُرَاءِ، فكذا الدعاء أراده الله أن يكون خالصاً له، وهو الذي يَجزي به من دون شركٍ فيه لأحد، من دون واسطةِ نبيٍّ أو وليٍّ أو شرطيٍّ أو موظفٍ!

اللهم صلِ وسلّم على الحبيب المصطفى وآله وأصحابه وأزواجه أجمعين.

المبحث الخامس
وقفاتٌ عند آياتٍ

سأذكر في هذا الموضوع عدداً من الوقفات عند معانٍ وردتْ في آيةٍ، أو في آيات؛ تنبيهاً على المعنى، وأهميته، وأهمية لَحْظه في الآية أو الآيات. وكلُّ معنىً أو حُكْم، أو حِكْمةٍ تُقْتطف من رَوْضِ الكتاب العزيز، فهو ارتقاءٌ بالعقل والنفس والسلوك، وسموٌّ لا يُعَوِّضُ عنه سِواه. فإلى بعض هذه القطوف، فمنها الآتي:

إبطال تكلّف العناية بنقد أعمال الآخرين ونسيان نفسْهِ:

مما يدل على هذا قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(٢٩٠). فالآية تنصُّ على أن الإنسان، لا يُحاسَبُ على عمل غيره، وهكذا بالنسبة للأمم والمجتمعات. وقد أكّد الله تعالى في مواضع كثيرة من كتابه مسؤولية الإنسان عن أفعاله خاصةً، دون أفعال غيره؛ فبإمكان القارئ للكتاب العزيز ملاحظة ذلك، في قراءته له.

تسبيح المخلوقات بحمده:

فيه قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾(٢٩١).

(٢٩٠) ١٣٤و١٤١: البقرة: ٢.
(٢٩١) ٤١: النور: ٢٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾(٢٩٢). وكم هو جميلٌ ومؤنِسٌ أنْ تستشعر، أيها الإنسان، أنك لست وحدكَ تُسبِّح الله تعالى، ولست وحدك تصلي له، وإنما معك الكون كله، ومعك هذه المخلوقات كلها! وكيف، بعد هذا، يَسُوغُ للإنسان أن يَشِذّ عن هذا الكون وهذه المخلوقات العابدة المسبحة لله تعالى!

آيات الله في الآفاق وفي الأنفس:

- فيه قوله تعالى: ﴿... وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾(٢٩٣).

- وقوله سبحانه: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾(٢٩٤). فَلَيْتَنَا ننظر، دائماً، إلى هذا الكون، وهذه المخلوقات أنها آياتٌ من آيات الله؛ فنتعامل مع هذا المعنى، فنجني ثماره في نفوسنا: إيماناً، واتّساقاً، وتناغماً مع آيات الله المقروءة والمنظورة.

دعوات استجابها الله تعالى:

كثيراً ما يَرِد في الكتاب العزيز ذِكْرُ دعواتٍ لبعض عباد الله استجابها الله سبحانه، وفي ذلك: إيناس، وهدايةٌ للناس. ومن هذه الدعوات ما يأتي:

- ما ذكره الله تعالى بقوله: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾(٢٩٥).

---

(٢٩٢) ٤٤: الإسراء: ١٧.
(٢٩٣) ٣٢: الأنبياء: ٢١.
(٢٩٤) ٣٧: الأنبياء: ٢١.
(٢٩٥) ٧٦: الأنبياء: ٢١.

▫ وما ذكره بقوله سبحانه: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٍ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ ۖ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ وَأُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأُوذُوا۟ فِى سَبِيلِى وَقَٰتَلُوا۟ وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾(٢٩٦).

وكان هذا استجابةً لِمَا ذكره تعالى مِن حالهم ودعواتهم في الآيات قبلها، مِن ١٩٠-١٩٤، مِن سورة آل عمران.

▫ وما ذكره بقوله سبحانه: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾(٢٩٧).

وكان هذا استجابةً لاستغاثتهم باللّٰه تعالى، التي وردَ وصْفُها في السنّة النبوية وكتب السيرة؛ إذ اتّسمت بالإلحاح على اللّٰه تعالى، وشدة التضرع إليه في طلب النصر منه.

▫ وما ذكره بقوله سبحانه: ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾(٢٩٨).

وكان هذا استجابةً لِمَا ذكره تعالى في الآيات قبلها، مِن سورة يوسف، مِن حالِ يوسف، عليه السلام، واستعلائه على دواعي الشهوة والرذيلة، إلى جانب دعائه ربَّه تعالى أن يَعصمه مِن الوقوع في مغريات الفاحشة والرذيلة.

▫ وما ذكره بقوله سبحانه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ

(٢٩٦) ١٩٥: آل عمران: ٣.
(٢٩٧) ٩: الأنفال: ٨.
(٢٩٨) ٣٤: يوسف: ١٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَمِثْلَهُمْ مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾﴾ (٢٩٩).

ويُلْحظ في هذه النتيجة أمران: صبْر أيوب عليه السلام، ودعاؤه ربه سبحانه بهذه الدعوات.

- وما ذكره بقوله سبحانه: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ (٣٠٠).

ويُلْحظ في هذه النتيجة اختياره دعاءه ربه سبحانه بهذه الألفاظ البليغة، التائبة، المخْبِتة لله تعالى.

- وما ذكره بقوله سبحانه: ﴿وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ (٣٠١).

ويُلْحظ، أيضاً، في هذه النتيجة اختياره دعاءه ربه سبحانه بهذه الألفاظ البليغة، المستسلِمة لله تعالى، ولا شك في أنّ لِحاله وقرْبه مِن الله تعالى أثراً، أيضاً.

الدعوة في القرآن إلى الاستقامة في الظاهر والباطن:

- ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣٠٢).

في الآية النهي عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن. وهذا أمرٌ

(٢٩٩) ٨٣-٨٤: الأنبياء: ٢١.
(٣٠٠) ٨٧-٨٨: الأنبياء: ٢١.
(٣٠١) ٨٩-٩٠: الأنبياء: ٢١.
(٣٠٢) ٣٣: الأعراف: ٧.

أساسٌ في المنهجية الشرعية... فالاستقامة لابدّ أن تكون ظاهراً وباطناً، وهذا ما غفَل عنه كثيرٌ من المسلمين، بل وكثير من الدعاة للأسف.

والآيات والأحاديث التي تؤكد هذا الأمر كثيرة.

- ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ﴾(٣٠٣).

- ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٣٠٤).

هذا إضافة إلى كثير من النصوص التي تأمر بهذا المعنى على غير لفظه، نحو: الأمر بالتقوى، والاستقامة، وطاعة الله تعالى، وسائر المعاني التي تصْدق على استقامة الظاهر والباطن مما يصعب حصره.

وهذا المعنى يجب أن يتنبّه له المسلم ويحاسب نفسه عليه، فإنه ما لم يأخذ بالإسلام الظاهر والباطن معاً؛ فإنه لا يَتمُّ له أمْر الإيمان، وإنّ ظاهرَ حالِ كثيرٍ من المسلمين اليوم: الغفلة عن أهمية أعمالِ القلوب، وأهميةِ استقامة الباطن إضافةً إلى استقامة الظاهر.

إن كثيراً من المسلمين، للأسف، قد لا يتنبهون إلى أن الكذب المحرّم، مثلاً، يشمل: كذبَ الظاهر وكذبَ الباطن، وكذبَ الأقوال وكذبَ الأعمال، وكذبَ القلوب والسرائر، وأنّ الصدق الواجب يشمل

(٣٠٣) ١٢٠: الأنعام: ٦.
(٣٠٤) ١٥١: الأنعام: ٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تلك المجالات كلها أيضاً؛ ولذلك كان الصدق يَهدي إلى البر، والبر يَهدي إلى الجنة، والكذب يَهدي إلى الفجور، والفجور يَهدي إلى النار، عياذاً بالله منه ومنها!

جاء شَرْعُهُ معجزاً كما أن خَلْقه معجزٌ!!:

-ولله المثل الأعلى- صانع الصنعة هو الذي يُقَنِّنُ صيانَتَها؛ لأنه هو أعلم بما يُصلْحها. والإنسان مخلوق خَلَقَه الله، وهو العليم سبحانه بما يُصلْحه وما يُفْسده، وبما يُشْقيه وما يُسْعده!

وبياناً لهذا المعنى يقول ربنا الخالق سبحانه: ﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾(٣٠٥).

ويقول في شأن تشريعه سبحانه الذي شرعه لهذا الإنسان المخلوق: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾(٣٠٦).

فانظر إلى لُطْف الخبير سبحانه، فإنه لَمّا كان عالماً بحال هذا الإنسان، الذي خَلَقه ضعيفاً؛ خَفّف عنه في شرعه، ولكنّ المشرّعين من دون الله لا يَعْلمون ذلك، ولو علموه -افتراضاً- لَمَا خففوا. وهيهات أن يعلموه، ولو خففوا لكان تخفيفهم إضاعةً وإضلالاً للإنسان.

ولكن الإتقان والإحكام في التشريع يأتي في تشريع الخالق، الذي خَلَق فأتقن وأحكم خَلْقه، فتبارك الله أحسن الخالقين.

إن الخالق الذي خَلَقَ، فجاء خَلْقه معجزاً، قد شرّع فجاء شرعه كذلك معجزاً. ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾(٣٠٧) فلا إله إلا هو!!.

---

(٣٠٥) ١٣-١٤: الملك: ٦٧.

(٣٠٦) ٢٨: النساء: ٤.

(٣٠٧) ٥٤: الأعراف: ٧.

الآيات شاهدة ببراءة يوسف عليه السلام:

إن الآيات في قصة يوسف عليه السلام شاهدةٌ ببراءته، وردِّ المفاهيم المخطئة في هذا الموضوع، وفيما يلي تدبُّرٌ لهذه الآيات، واستظهارٌ لمواطن الدلالة فيها:

﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ...﴾(٣٠٨).

يَفْهم بعضُهم هذه الآية فهماً عجيباً، حيث يتصور أن يوسف عليه السلام قد همّ بامرأة العزيز، هكذا على الإطلاق. ولهذا ترى من المفسرين مَن يحاول أن يتأول تأوّلاً فاسداً لدفع المعنى الذي أشارت إليه الآية وهو حصول الهمّ من يوسف عليه السلام. كأنه صَعُبَ على هذا المفسر قبول قول الله تعالى، فقال: ﴿هَمَّتْ بِهِۦ﴾ لفعل الفاحشة، ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾، أي همّ بضربها!! وما عَلِم هذا المتأول أن هذا الذي ذهب إليه يفسده ما بعد ذلك في الآية نفسها، وهو قوله تعالى: ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ فكيف يستقيم المعنى على ذلك التأويل الفاسد (ولقد همّ بها أي: ليضربها لولا أن رأى برهان ربه)؟!.

وترى بعضَ المفسرين يُثبت في حق يوسف عليه السلام-بنصّ هذه الآية-المعنى الذي أثبتتْه الآية في حق امرأة العزيز، ويستنكر على من لا يَقْبل هذا، فيقول رادّاً على من لا يَقْبل ما ذهب إليه من الفهم: سبحان الله؟ الله تعالى يقول: ﴿... وَهَمَّ بِهَا...﴾ وأنت تقول ما همّ بها!

ولقد زلّ من ذهب إلى ذلك النفي المطلق كما زلّ مَن ذهب إلى هذا الإثبات المطلق.

وهذا مثال على مسلكٍ مخطئٍ ينتهجه كثير من الناس في فهمه لكتاب الله، حين يجتزئ الواحدُ، مثلاً، لفظةً من الآية؛ ليحاول فهمها

(٣٠٨) ٢٤: يوسف: ١٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وحدها بمعزل عن بقيةِ الآيةِ، وبقية الآيات وبقيةِ الكتاب العزيز كله.

والصواب في فهم هذه اللفظة يظهر بربطها ببقيــة الآيــة، والآيــات الأخرى في الموضوع.

وإليك فيما يلي الآياتِ في قصة يوسف، واضعاً عليها أرقاماً متسلسلة عند كلِّ موضعٍ مِن مواضعِ الدلالة فيها على المعنى الصحيح المراد بالآيات الكريمة:

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ [١] أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا [٢] ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ [٣] مِن دُبُرٍ ... ﴿٢٥﴾ قَالَ هِىَ [٤] رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ [٥] مِّنْ أَهْلِهَآ ... قَالَ إِنَّهُۥ [٦] مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِى [٧] لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ [٨] كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ﴿٢٩﴾ * وَقَالَ نِسْوَةٌ [٩] فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا [١٠] فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ ... ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ [١١] ٱلَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ ۖ وَلَقَدْ [١٢] رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ [١٣] وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ [١٤] مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ [١٥] رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ [١٦] عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱسْتَجَابَ [١٧] لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ [١٨] عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّنۢ بَعْدِ [١٩] مَا رَأَوُا۟ ٱلْـَٔايَـٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٣٥﴾﴾(٣٠٩).

﴿... قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّـٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ [٢٠] قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ [٢١] مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ ۖ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ [٢٢] عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ

(٣٠٩) ٢٤-٣٥: يوسف: ١٢.

ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾ [٢٣] ...﴿٥٣﴾ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِى بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ [٢٤] لِنَفْسِى ...﴾[٣١٠].

وكأن هذه الخاتمة في الآيات جاءت كالنتيجة، بعد أن ثبتت براءته وأمانته عليه السلام!

فانظر كيف اشتملت الآيات على نحو أربعةٍ وعشرين دليلاً، على نزاهة يوسف عليه السلام وعصمته، واعتصامه بالله تعالى؛ فأين ذاك الصنف وذاك الصنف من المفسرين عن هذا؟

وانظر كيف السموّ؟! وكيف الخُلُق؟! وانظر كيف يكون الإعجاز القرآني!

في المنهج:

﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ ۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾[٣١١].

نعم هكذا شرْعُ الله تعالى! وهكذا ينبغي أن يكون منهج المسلم في هذه الحياة وفي فهمه لهذا الدين، فلا عنصرية، ولا تعصب، ولا تحزب، فليس بين أُمّةٍ من الأمم وبين الله عهْدٌ أنْ لا تمسهم النار، أو أنْ ينجوا من عذاب الله تعالى، كَلاّ فليس سبب النجاة من عذابه هو النسب، ولا العِرْق، ولا اللون والدم، وإنما التقوى والعمل، إنه الحسنات، وإن القضية قضية حسناتٍ أو سيئاتٍ ليس إلا.

ويا لَروعة التعبير المعجز الباهرِ في كلام ربنا سبحانه!! انظرْ كيف

(٣١٠) ٥٠-٥٤: يوسف: ١٢.
(٣١١) ٨٠-٨٢: البقرة: ٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ردّ على أصحاب هذه الدعوى، الزاعمين أن النار لن تمسهم إلا أياماً معدودة، قال في شأنهم موجّهاً نبيه محمداً ﷺ إلى طريقة الردّ عليهم، وتفنيد زعمهم الباطل: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وكيف يجرؤن على ادعاء اتخاذهم عند الله عهداً؟! أم كيف يجرؤن أن يقولوا على الله ما لا يعلمون؟!، ولا شك في أنهم إذا لم يُثبتوا الأُولى، فالثانية ثابتة عليهم!

ثم انظر كيف يردّ الله تعالى دعواهم عليهم: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ...﴾[٣١٢] يا سبحان الله!! حتى هؤلاء الذين ادعوا هذه الدعوى، التي يُميّزون فيها جنسهم عن جنس غيرهم من البشر بدعوى هذه الخصوصية، يأتي الردّ عليهم بهذا الأسلوب، إنه لم يأت بأسلوب الردّ عليهم فيما ادّعوه وإثبات نقيضه وأن مصيرهم إلى النار، كلاّ!

بل جاء بأسلوب آخر منهجيّ، لا يحيد و لا يميل عن الميزان الإلهي: ﴿مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾، نعم: لا يكفي مجرّد أن يكون ﴿كَسَبَ سَيِّئَةً﴾، بل: ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾، ﴿فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾، وهذا يَصدق على أصحاب هذه الدعوى ، وعلى سواهم من الأمم.

وليس ذلك فحسبُ، وإنما يَستكمل البيانُ الإلهيُّ الصورةَ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾!، حتى ولو كانوا مِنْ نسب أولئك المدّعين؟!، نعم! لماذا؟! لأن القضية قضيّة منهجٍ، لا قضية أشخاص، وقضية إيمانٍ وعملٍ صالح، لا قضيّة جنس أو أُمّة!

(٣١٢) ٨١: البقرة: ٢.

فأين الذين يتصورون هذا على غير هذا الوجه من نصوص الكتاب؟!، إنَّ الخطأ سيظل خطأً، والصوابَ سيظلُّ صواباً، حتى فيما يتعلق بتصور طبيعة هذه الأمة، وطبيعة أهل السنة والجماعة...إلخ.

إن الأمر أَمْرُ إيمانٍ أو كفرٍ، طاعةٍ أو معصية، حسناتٍ أو سيئات! وهذا هو المنهج! وهذا هو الدين الحق! فتبارك الله رب العالمين، والحمد له في الأوّلين والآخرين!

وقال تعالى عن صِنْف من الكافرين: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ...﴾(٣١٣).

مِن منهج الكتاب العزيز:

قد جاء التعبير في الكتاب العزيز بلفظ: "طائفة" في مواضع؛ للدلالة على إصدار الحكم على طائفةٍ في فئةٍ مِن الناس؛ لئلا يكون الحكم شاملاً لكل الفئة التي هي موضع الحديث، ولا سيما الخصوم والأعداء.

وهكذا نرى هذه الطريقة القرآنية واضحةً في الحديث عن الأعداء والخصوم؛ ابتعاداً عن ظلم التعميم في إصدار الأحكام بذمّهم أو نحوه.

وكذلك الحال بالنسبة للحديث عن فئةٍ ما مدحاً لها، وما في معناه.

ومِن الأمثلة على هذا ما يلي:

- ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾(٣١٤).
- ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾(٣١٥).
- ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُواْ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ وَٱللَّهُ يَكْتُبُ مَا

(٣١٣) ١٣٧: البقرة: ٢.
(٣١٤) ٦٩: آل عمران: ٣.
(٣١٥) ٧٢: آل عمران: ٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾(٣١٦).

- ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾(٣١٧).

- ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾(٣١٨).

ومثل لفظ: "طائفة" لفْظ: "فريق"، وما في معناها.

ومن الأمثلة على لفظ: "فريق"، وما في معناها ما يلي:

- ﴿* أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(٣١٩).

- ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(٣٢٠).

- ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٣٢١).

- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾(٣٢٢).

- ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ

(٣١٦) ٨١: النساء: ٤.
(٣١٧) ١١٣: النساء: ٤.
(٣١٨) ١٣: الأحزاب: ١٣.
(٣١٩) ٧٥: البقرة: ٢.
(٣٢٠) ١٠٠: البقرة: ٢.
(٣٢١) ١٠١: البقرة: ٢.
(٣٢٢) ٢٣: آل عمران: ٣.

بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٣٢٣).

- ﴿ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾(٣٢٤).

- ﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٣٢٥).

- ﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴾(٣٢٦).

- ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾(٣٢٧).

ومِن ذلك: التفصيل وعدم تعميم الحكم على فئةٍ ما، ومِن الأمثلة:

- ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾(٣٢٨).

- ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾(٣٢٩).

- ﴿لَيْسُوا۟ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ

(٣٢٣) ١١٧: التوبة: ٩.
(٣٢٤) ٥٤: النحل: ١٦.
(٣٢٥) ٤٧: النور: ٢٤.
(٣٢٦) ٤٨: النور: ٢٤.
(٣٢٧) ٣٣: الروم: ٣٠.
(٣٢٨) ٧٥: آل عمران: ٣.
(٣٢٩) ١١٠: آل عمران: ٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يَسْجُدُونَ ﴾(٣٣٠).

- ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾(٣٣١).

فبتأمل هذه الآيات يتأكد المعنى، والمبدأ القرآنيُّ، الذي أشرتُ إليه في بداية الموضوع، وهو: التفريق بين مختلف الفِرَق، والفئات، والطوائف، وعدمُ أَخْذ الجميع بجريرةِ فردٍ واحدٍ، أو طائفةٍ واحدة، بل: وعدمُ أَخْذ أفراد الطائفة الواحدة جميعاً بجريرةِ فردٍ منهم.

ومِن ذلك ربْط الحكم بتصرفات الناس وأفعالهم، وليس بأشكالهم، ولا أجناسهم، ولا أديانهم، ولا أحزابهم وجماعاتهم، ومِن الأمثلة على هذا:

- ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِىِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾(٣٣٢).

- ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۖ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٣٣٣).

وجاء في القرآن الكريم التعبير بالألفاظ العامّة في مواضعها المناسبة بصورة دقيقة؛ فعِلْم الله دقيقٌ دقةً هي الصدق كله، وهي العدل كله، ومِن الأمثلة على هذا:

(٣٣٠) ١١٣: آل عمران: ٣.
(٣٣١) ١٩٩: آل عمران: ٣.
(٣٣٢) ١٢٣: آل عمران: ٣.
(٣٣٣) ٦٨: المائدة: ٥.

- ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾(٣٣٤).

- ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾(٣٣٥).

وأَمَرَ الله تعالى بمجادلة المخالفين، كأهل الكتاب، بالتي هي أحسن -فمن باب أولى المسلمون- ومن الأمثلة على هذا:

- ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾(٣٣٦).

في المحاجة والمجادلة:

المطالبة بالدليل:

لا يضرُّ الباحثَ عن الحق، والداعي إليه، والمنافح عنه، أن يطالب المخالفَ المخطئ بالدليل، بأن يطالبه بإثبات دعواه الباطلة بالدليل إن كان على الحق، لأن الدليل هو الذي يكون شاهداً على الحق، هذا منهجٌ قرآنيٌّ، ومنهجٌ نبويٌّ مهما كانت مخالفة المخالف، حتى لو كان في توحيد الله، ومما يشهد بهذا في القرآن قوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى

(٣٣٤) ١٠٥: البقرة: ٢.
(٣٣٥) ١٠٩: البقرة: ٢.
(٣٣٦) ٤٦: العنكبوت: ٢٩ .

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٨ قُلۡ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ لَا يُفۡلِحُونَ ٦٩﴾[٣٣٧].

نعم: ﴿إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۭ بِهَٰذَآ﴾، "أي: ليس عندكم دليل على ما تقولونه من الكذب والبهتان"[٣٣٨].

في إبطال العناية بالظاهر فقط:

- فيه قوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾[٣٣٩].

- وقوله تعالى: ﴿وَٱلۡبُدۡنَ جَعَلۡنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمۡ فِيهَا خَيۡرٞ...﴾، إلى قوله تعالى: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمۡ لِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[٣٤٠].

- وقوله تعالى: ﴿وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَا﴾[٣٤١].

الظاهرية ليست دائماً صواباً:

مما يَرُدُّ الأخذَ بالظاهرية دائماً كثيرٌ من الأساليب الواردة في القرآن

(٣٣٧) ٦٨-٦٩: يونس: ١٠.
(٣٣٨) ابن كثير: ٤٢٤/٢.
(٣٣٩) ١٧٧: البقرة: ٢.
(٣٤٠) ٣٦-٣٧: الحج: ٢٢.
(٣٤١) ١٨٩: البقرة: ٢.

الكريم، ومن ذلك:

- قوله تعالى: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[٣٤٢]. فليس المقصود تحديد تسبيح الله بالبكرة والأصيل فقط، وإنما المقصود تسبيحه كثيراً.
- وقوله تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[٣٤٣].

مثال لأدلة عدْلِ الله سبحانه مع الظالمين:

الآية: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ۗ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾[٣٤٤].

وفي هذا ردٌّ على الذين يُخَطِّئُون مَبْدأ العدلِ مع المخالف أو الظالم أو المبتدع!

هل كل خطأٍ في العقيدة يكون كفراً؟:

ما ذكره ربنا تبارك وتعالى عن خليل الرحمن إبراهيم، عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، حيث أخطأ في أول الأمر في تحديد من هو الله[٣٤٥]، مع أنه مؤمن بالله وحده لا شريك له، فقال تعالى عن إيمان إبراهيم ورغبته عن الشرك: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً ۖ إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[٣٤٦]، ثم قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾[٣٤٧] ثم قال عنه: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَىٰ

(٣٤٢) ٤٢: الأحزاب: ٣٣.
(٣٤٣) ٩: الفتح: ٤٨.
(٣٤٤) ٥٤: يونس: ١٠.
(٣٤٥) وهذا على القول بأنَّ موقفَ إبراهيم عليه الصلاة والسلام هذا كان موقفَ نظرٍ، لا مناظرة. على أنَّ من الأئمة مَن رجَّح أنّ مقامَ إبراهيم عليه الصلاة والسلام في هذا الحوار مع قومه كان مقامَ مُناظَرةٍ؛ تدرجاً في إقناعهم. ولا سبيلَ للجزمِ برجْحان الراجح، لكنَّه الاجتهاد.
(٣٤٦) ٧٤: الأنعام: ٦.
(٣٤٧) ٧٥: الأنعام: ٦.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ...﴾[٣٤٨]. وانظر الآيات بعدها حيث أصبح إبراهيم الخليل يجادل قومه في الشرك وإبطاله، ويدعوهم إلى التوحيد الذي كان مؤمناً به، معتقداً له، من قبل أن يكون منه ما كان مع الكوكب والقمر والشمس.

ويؤيد هذا حديث الرجل الذي أمر أولاده أن يحرقوه ويسحقوه ويذرُّوه، خوفاً من قدرة الله عليه[٣٤٩]، فهذا أخطأ في تصوّر صفات الباري، والخليل عليه السلام أخطأ في تحديد الذات، ولكنّ خطأهما وقع منهما قبل البيان.

وفي سورة الأنعام: ﴿...وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٣٥٠].

فهناك فرقٌ بين خطأ الملتمس للحق فيخطئه، وخطأ القاصد للخطأ المختار له بعد البيان وقيام الحجة... والله أعلم.

أسباب هداية الله:

يتحقق للإنسان هداية الله -وَفْق الأخذ بعالَمِ الأسباب- بثلاثة أمور لابدّ منها، وهي:

✓ المجاهدة.

---

(٣٤٨) ٧٤-٧٩: الأنعام: ٦.

(٣٤٩) صحيح البخاري، برقم (٣٤٧٨-٣٤٨١)، ولفظه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (كَانَ رَجُلٌ يُسْرِفُ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي: ثُمَّ اطْحَنُونِي، ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا. فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللَّهُ الأَرْضَ، فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ. فَفَعَلَتْ؛ فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ! فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ، خَشْيَتُكَ. فَغَفَرَ لَهُ).

(٣٥٠) ٨٨: الأنعام: ٦.

✓ النية الصالحة.

✓ المنهج الصحيح.

وهو الأمر الذي تشير إليه الآية الكريمة:

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾(٣٥١).

فلابد من المجاهدة، ولابد أن تكون المجاهدةُ في ذات الله تعالى، وهذا يستلزم الاستقامةَ على المنهج الصحيح الموصل إلى الغاية. وتكون من بعد ذلك النتيجة -وَفْق عالم الأسباب-: ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾، وفي جمْع السبل في الآية، على الرغم من أن سبيل الله واحدةٌ، إشارةٌ إلى تمام هداية الله، وأنها هداية إلى جميع سُبُل الله تعالى!!، نسأل الله تعالى هدايته وتوفيقه.

الليل والنهار في القرآن:

قال تعالى: ﴿...يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٣٥٢).

تأمّل الإعجاز في الآية الكريمة، التي عبّرت عن هذه الظاهرة الكونية تعبيراً دقيقاً، مطابقاً لطبيعة الظاهرة، فقد قال تعالى: ﴿**يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ**﴾ أي: إن النهار هو الذي يَغْشى الليل، وليس العكس، وهكذا هو الواقع، فإن الليل يطرده النهار من جهة المشرق إلى جهة المغرب، وحيث تشرق الشمس يكون النهار مكان الليل، وفي المغرب يكون الليل ما لم تطلع الشمس!!، ﴿...إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ أشهد أن هذا كلام الله العليم الخبير.

وباستعراض الآيات كلها في الليل والنهار، في القرآن الكريم، لم أَرَ

(٣٥١) ٦٩: العنكبوت: ٢٩. ربما لَفَت نظري إلى هذه الحقيقة محمد بن الوزير، رحمه الله تعالى، في كتابه: "إيثار الحق على الْخَلْق في ردّ الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد"، لكن بحثتُ عنه فيه فلم أقف عليه.

(٣٥٢) ٣: الرعد: ١٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التعبير بعكس هذا التعبير، أي: لم يأتِ (يُغشي النهار الليل) وإنما: ﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ﴾، فسبحان الله مُنْزِل الكتاب.

وهاك الآيات في الليل والنهار:

- ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلَّيۡلُ نَسۡلَخُ مِنۡهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظۡلِمُونَ ٣٧ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ٣٨ ... ٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ٤٠﴾(٣٥٣).
- ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾(٣٥٤).
- ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنٗا وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ حُسۡبَانٗا﴾(٣٥٥).
- ﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ يَطۡلُبُهُۥ حَثِيثٗا﴾(٣٥٦).
- ﴿يُغۡشِي ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَ﴾(٣٥٧).
- ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾(٣٥٨).
- ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا﴾(٣٥٩).
- ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾(٣٦٠).
- ﴿يُكَوِّرُ ٱلَّيۡلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيۡلِ﴾(٣٦١).

---

(٣٥٣) ٣٧-٤٠: يس: ٣٦.
(٣٥٤) ٢٧: آل عمران: ٣.
(٣٥٥) ٩٦: الأنعام: ٦.
(٣٥٦) ٥٤: الأعراف: ٧.
(٣٥٧) ٣: الرعد: ١٣.
(٣٥٨) ٦١: الحج: ٢٢.
(٣٥٩) ٦٢: الفرقان: ٢٥.
(٣٦٠) ٢٩: لقمان: ٣١.
(٣٦١) ٥: الزمر: ٣٩.

- ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾(٣٦٢).
- ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ٣٣ وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ٣٤﴾(٣٦٣).
- ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ٢﴾(٣٦٤).
- ﴿وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ٢ ...﴾(٣٦٥).
- ﴿وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا﴾(٣٦٦).

التذكير بالقيام بالواجب وعدمِ الانشغال بالآخرين:

قد جاءت آيات القرآن الكريم بدعوة الإنسان إلى القيام بواجباته، ونَهْيه عن الانشغال عنها بالناس وتصرفاتهم وخصوصياتهم، ومِن ذلك ما يلي:

- **قوله تعالى:** ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ﴾(٣٦٧).
- وقوله تعالى: ﴿تِلۡكَ أُمَّةٞ قَدۡ خَلَتۡۖ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَلَكُم مَّا كَسَبۡتُمۡۖ وَلَا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾(٣٦٨).

وقفةٌ عند ظاهرة النهي عن التفريق بين رُسُلِ الله:

- يلاحَظ ظاهرة التأكيد على النهي عن التفريق بين رسل الله، في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، ينبغي تتبع ذلك وحصره، وتجديدُ

(٣٦٢) ٦: الحديد: ٥٧.
(٣٦٣) ٣٣: المدثر: ٧٤.
(٣٦٤) ١-٢: الليل: ٩٢.
(٣٦٥) ١-٢: الضحى: ٩٣.
(٣٦٦) ٢٩: النازعات: ٧٩.
(٣٦٧) ١١٩: البقرة: ٢.
(٣٦٨) ١٣٤ و١٤١: البقرة: ٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

دعوة القرآن إلى ذلك في العالمين. وهذا سيكون له أثره البالغ في التعريف بطبيعةِ جانبٍ من جوانبِ الإسلام، والردّ على ادّعاءات خصومه في هذا العصر. ومن الآيات الواردة في هذا الموضوع:

- قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾(٣٦٩).
- وقوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ...﴾(٣٧٠).
- وقوله تعالى: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٨٤﴾(٣٧١).
- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٥٢﴾(٣٧٢).

إنّ كتابَ اللّه تعالى يؤكّد على هذه الحقيقة، وأنّ اللّه تعالى لم يأذن بالتفريق بين اللّه ورُسُله، ولم يأذن بالتفريق بين رُسُل اللّه؛ فينبغي للبشرية أن تُصغيَ لكلام خالقها وبارئها سبحانه.

(٣٦٩) البقرة: ١٣٦.
(٣٧٠) البقرة: ٢٨٥.
(٣٧١) آل عمران: ٨٤.
(٣٧٢) النساء: ١٥٠-١٥٢.

تَـذَكَّـرْ!:

هناك عددٌ من الكلمات القصيرة في القرآن، وردت في بعض المعاني، فيها حَسْمٌ في الحكم، أو النتائج، وهي ذات أهمية بالغةٍ.

ومما ينبغي لدارس القرآن الكريم ومتدبره: العناية بها، وتأملها، والإفادة منها في الفهم والتطبيق.

ولا يُمْكن حصر الأمثلة عليها هنا، لكن، مِن أمثلتها ما يأتي، وسأذكرها مبدوءةً بكلمة: "تَذكّر"؛ لأهمية التذكر والانتباه عند الوقوف عليها:

- تذكّر: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾(٣٧٣).
- تذكّر: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾(٣٧٤).
- تذكّر: ﴿وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾(٣٧٥).
- تذكّر: ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾(٣٧٦).
- تذكّر: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾(٣٧٧).
- ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾(٣٧٨).
- ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾(٣٧٩).

---

(٣٧٣) ٢٣: الإسراء: ١٧.

(٣٧٤) ٤٦: النازعات: ٧٩.

(٣٧٥) ١٨: المائدة: ٥، و١٥: الشورى: ٤٢ـ، و٣: التغابن: ٦٤.

(٣٧٦) ٢٤٥: البقرة: ٢، وقد ورد في المصحف في نحو ٩ مواضع.

(٣٧٧) ٤٠-٤١: النازعات: ٧٩.

(٣٧٨) ٥٦، ٨٥: الأعراف: ٧.

(٣٧٩) ٢٦: الرحمن: ٥٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾[٣٨٠].

إلى آخر ما هنالك من أمثال هذه الكلمات، الواردة في القرآن الكريم على هذا النحو.

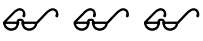

(٣٨٠) ٤٢: البقرة: ٢.

المبحث السادس

من حديث القرآن عن القرآن

في شأن كتاب الله تعالى:

أخرج ابن أبي حاتم بسنده إلى عطاء بن السائب قال: أقرأني أبو عبد الرحمن السُّلَميّ القرآن، وكان إذا قرأ عليه أحدنا القرآن، قال: قد أخذت علم اللّه؛ فليس أحد اليوم أفضلَ منك إلا بعمل، ثم يقرأ قوله تعالى: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾(٣٨١).

القرآن رسائل إلى المؤمنين من ربهم:

وقد أَخبر اللّه تعالى عن هذا المعنى في آياتٍ كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾(٣٨٢).

وقوله تعالى: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾﴾(٣٨٣).

وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾(٣٨٤).

---

(٣٨١) ١٦٦: النساء: ٤.
(٣٨٢) ٢٣: الزمر: ٣٩.
(٣٨٣) ١-٤: طه: ٢٠.
(٣٨٤) ٩٧: مريم: ١٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمًا ١٧٥﴾[٣٨٥].

وهكذا كان أصحاب الرسول ﷺ ينظرون إلى كتاب الله تعالى، وهكذا مَن بعدهم مِن صُلَحاء هذه الأمّة.

قاعدة في شرط الانتفاع بقراءة القرآن وسماعه:

قال الإمام أبو عبد الله، ابن قيم الجوزية، رحمه الله[٣٨٦]:

«إذا أردت الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه، وألْقِ سَمْعَك واحضرْ حضورَ مَن يخاطبه به مَن تكلَّم به سبحانه منه إليه، فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ ٣٧﴾[٣٨٧]، وذلك أن تمام التأثير لما كان موقوفاً على مؤثِر مقتض، ومحل قابل وشرطٍ لحصول الأثر، وانتفاء المانع الذي يمنع منه، تضمنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظ وأبينه وأدلّه على المراد. فقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ﴾ إشارة إلى ما تقدم من أول السورة إلى هاهنا، وهذا هو المؤثِر، وقوله تعالى: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾ فهذا هو المحل القابل، والمراد به القلب الحيّ الذي يعقل عن الله، كما قال تعالى: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ٦٩ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا﴾ أي حيّ القلب. وقوله: ﴿أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ﴾، أي وجَّهَ سمعه وأصغى حاسة سمعه إلى ما يقال له. وهذا شرط التأثر بالكلام. وقوله تعالى ﴿وَهُوَ شَهِيدٞ﴾ أي: شاهد القلب حاضر غير غائب، قال ابن قتيبة:

(٣٨٥) ١٧٤-١٧٥: النساء: ٤.
(٣٨٦) الفوائد، لابن القيم، ص ٣.
(٣٨٧) ٣٧: ق: ٥٠.

استمع كتاب الله وهو شاهد القلب والفهم، ليس بغافل ولا ساهٍ[٣٨٨]. وهو إشارة إلى المانع من حصول التأثير، وهو سهو القلب وغيبته عن تَعَقُّلِ ما يقال له: والنظر فيه وتأمله، فإذا حصل المؤثر وهو القرآن، والمحل القابل وهو القلب الحيّ، ووُجد الشرط وهو الإصغاء، وانتفى المانع وهو اشتغال القلب وذهوله عن معنى الخطاب، وانصرافه عنه إلى شيء آخر، حصل الأثر وهو الانتفاع والتذكر.

(فإن قيل): إذا كان التأثير إنما يتم بمجموع هذه؛ فما وجه دخول أداة (أو) في قوله تعالى: ﴿أَوَأَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾، والموضع موضع واو الجمع لا موضع (أو) التي هي لأحد الشيئين.

قيل: هذا سؤالٌ جيد. والجواب عنه أن يقال: خرج الكلام بـ(أو) باعتبار حال المخاطب المدعو.

فإنَّ مِن الناس مَن يكون حيَّ القلب واعيَهُ تام الفطرة، فإذا فكر بقلبه وجال بفكره دلَّه قلبه وعقله على صحة القرآن، وأنه الحق، وشهد قلبه بما أخبر به القرآن، فكان ورود القرآن على قلبه نوراً على نور الفطرة. وهذا وصف الذين قيل فيهم: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾، وقال في حقهم: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾﴾، فهذا نورُ الفطرة على نور الوحي. وهذا حال صاحب القلب الحيّ الواعي)).

قال ابن القيم: «وقد ذكرنا ما تضمنت هذه الآية من الأسرار والعبر في كتاب: "اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية"

(٣٨٨) غريب القرآن لابن قتيبة، ص ٤١٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فصاحبُ القلب يجمع بين قلبه وبين معاني القرآن، فيجدها كأنها قد كتبت فيه، فهو يقرأها عن ظهر قلب، ومن الناس من لا يكون تام الاستعداد، واعي القلب كامل الحياة، فيحتاج إلى شاهد يميز له بين الحق والباطل، ولم تبلغ حياة قلبه ونوره وزكاء فطرته مبلغ صاحب القلب الحي الواعي، فطريق حصول هدايته أن يفرغ سمعه للكلام، وقلبه لتأمله والتفكر فيه وتعقل معانيه، فيعلم حينئذ أنه الحق.

فالأول: حال مَن رأى بعينه ما دُعي إليه وأُخبر به.

والثاني: حال مَن علِم صدق المخبر وتيقنه، وقال: « يكفيني خبره»؛ فهو في مقام الإيمان، والأول في مقام الإحسان، وهذا قد وصل إلى علم اليقين، وترقى قلبه منه إلى منْزلة عين اليقين، وذاك معه التصديق الجازم، الذي خرج به من الكفر، ودخل به في الإسلام. فعين اليقين نوعان: نوع في الدنيا، ونوع في الآخرة، فالحاصل في الدنيا نسبته إلى القلب كنسبة الشاهد إلى العين. وما أَخبرت به الرسل من الغيب يعاين في الآخرة بالأبصار، وفي الدنيا بالبصائر، فهو عينُ يُقينٍ في المرتبتين)).

في التذكير بالقرآن:

قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَلَٰغٞ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِۦ وَلِيَعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٥٢﴾(٣٨٩).

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ ٣٠ وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ بَل لِّلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ جَمِيعًا﴾(٣٩٠).

(٣٨٩) ٥٢: إبراهيم: ١٤.

(٣٩٠) ٣٠-٣١: الرعد: ١٣.

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ...﴾(٣٩١).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ٢٧ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا غَيۡرَ ذِي عِوَجٖ لَّعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ٢٨﴾(٣٩٢).

وقال تعالى: ﴿طه ١ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ٢ إِلَّا تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ٣ تَنزِيلٗا مِّمَّنۡ خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلۡعُلَى ٤﴾(٣٩٣).

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرۡنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلۡمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوۡمٗا لُّدّٗا﴾(٣٩٤).

في القرآن:

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣﴾(٣٩٥).

وقوله تعالى: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١٣٧﴾(٣٩٦).

عن القرآن:

قوله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ

(٣٩١) ٢٣: الزمر: ٣٩.
(٣٩٢) ٢٧-٢٨: الزمر: ٣٩.
(٣٩٣) ١-٤: طه: ٢٠.
(٣٩٤) ٩٧: مريم: ١٩.
(٣٩٥) ٢٣: الزمر: ٣٩.
(٣٩٦) ١٣٧: البقرة: ٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾(٣٩٧).

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾(٣٩٨).

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۗ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾(٣٩٩).

واعتصَمُوا به أي: بالقرآن. وانظر بعد ذلك جزاءَ هؤلاء المؤمنين باللّه المعتصمين بالقرآن...!

حقيقة القرآن الكريم:

قال الإمام ابن تيمية:

«ومن الإيمان باللّه وكتبه: الإيمان بأن القرآن كلام اللّه، منزَّل غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، وأن اللّه تعالى تكلم به حقيقة، وأن هذا القرآن الذي أنزله على محمد ﷺ هو كلام اللّه حقيقة لا كلام غيره، ولا يجوز إطلاق القول بأنه حكاية عن كلام اللّه، أو عبارة عنه، بل إذا قرأه الناس أو كتبوه، بذلك في المصاحف، لم يَخْرج بذلك عن أن يكون كلام اللّه تعالى حقيقة؛ فإن الكلام إنما يضاف حقيقةً إلى مَنْ قاله مبتدئاً، لا إلى من قاله مبلّغاً مؤدّياً.

وهو كلام اللّه، حروفه ومعانيه، ليس كلام اللّه الحروف دون

(٣٩٧) ١٦٦: النساء: ٤.

(٣٩٨) ١٧٤-١٧٥: النساء: ٤.

(٣٩٩) ١٥-١٦: المائدة: ٥.

المعاني، ولا المعاني دون الحروف))[٤٠٠].

قال الله عن كتابه القرآن الكريم: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۗ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾﴾[٤٠١].

وقال سبحانه: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[٤٠٢].

وقال عنه، أيضاً: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٤٠٣].

وقال عنه، أيضاً: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَىِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾[٤٠٤].

وقال عنه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾[٤٠٥].

وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾﴾[٤٠٦].

وقال: ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾﴾[٤٠٧].

---

(٤٠٠) مجموع الفتاوى: ١٤٤/٣. وقد خُصِّص المجلد الثالث من مجموع فتاوى الإمام ابن تيمية، رحمه الله تعالى، للحديث عن القرآن، واشتمل على مباحث وفوائد مهمة.

(٤٠١) ٩٢: الأنعام: ٦.

(٤٠٢) ١٥٥: الأنعام: ٦.

(٤٠٣) ٢٩: ص: ٣٨.

(٤٠٤) ٢٠: المزمل: ٧٣.

(٤٠٥) ٢١: الحشر: ٥٩.

(٤٠٦) ٦: النمل: ٢٧.

(٤٠٧) ١-٤: طه: ٢٠.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۝٩﴾(٤٠٨).

وقال: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۝٤٥﴾(٤٠٩).

وقال: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۝٨٢﴾(٤١٠).

وقال: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨﴾(٤١١).

وقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ۝٨٧﴾(٤١٢).

وقال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ۝٣﴾(٤١٣).

وقال: ﴿وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٣٧﴾(٤١٤).

وقال: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝٢٠٤﴾(٤١٥).

وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا

---

(٤٠٨) ٩: الإسراء: ١٧.
(٤٠٩) ٤٥: الإسراء: ١٧.
(٤١٠) ٨٢: الإسراء: ١٧.
(٤١١) ٨٨: الإسراء: ١٧.
(٤١٢) ٨٧: الحجر: ١٥.
(٤١٣) ٣: يوسف: ١٢.
(٤١٤) ٣٧: يونس: ١٠.
(٤١٥) ٢٠٤: الأعراف: ٧.

كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾[٤١٦].

هذه بعض الآيات في حقيقة القرآن الكريم وفضله، وتكفينا واحدة منها!

وقفة:

قوله تعالى: ﴿...فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[٤١٧]، قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «وهذا هو عين النصر والظَّفَر، كما قال بعض السلف: ما عاملتَ مَن عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه ، وبهذا يحصل لهم تأليفٌ وجمْعٌ على الحق، ولعل الله أن يهديهم، ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ يعني به: الصفح عمّن أساء إليك، وقال قتادة: هذه الآية.. منسوخة بقوله: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾[٤١٨]».

وقْفة:

قوله تعالى لرسوله ﷺ بشأن المنافقين: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٖ مِّنۡهُم مَّاتَ أَبَدٗا...﴾[٤١٩]. دليل على أن الله تعالى أعلمه إياهم جميعاً، وليس الأمر كما ذهب إليه بعضهم من أنه ﷺ لا يعلم من المنافقين إلا عدداً منهم ممن علمه الله إياهم، انظر تفسير ابن كثير، تفسير سورة البقرة، حيث ذكر ما يدل على أنه يأخذ بهذا القول الأخير.

ولا يعارض هذا قولُهُ تعالى في سورة التوبة: ﴿وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡ...﴾[٤٢٠].

---

(٤١٦) ٨٢: النساء: ٤.
(٤١٧) ١٣: المائدة: ٥.
(٤١٨) تفسير ابن كثير: ٣٣/٢.
(٤١٩) ٨٤: التوبة: ٩.
(٤٢٠) ١٠١: التوبة: ٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لأن النبي ﷺ لا يَعْلم (الغيب)، ولكن الله يُعَلِّمه منه ما يشاء.

كتبٌ تتعلق بالقرآن:

هذه مجردُ أمثلةٍ، ليس إلاّ.

- فضائل القرآن الكريم، لابن حجر، مراجعة وشرح وتقديم د.السيد الجميلي، (من فتح الباري).
- كي لا نخطئ في فهم القرآن، محمود غريب.
- فضائل القرآن، لابن الضريس.
- خصائص القرآن الكريم، د.فهد الرومي.
- النبأ العظيم، د.عبد الله دراز.
- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن، لأبي يحيى زكريا الأنصاري.
- البرهان على سلامة القرآن من الزيادة والنقصان، سعدي ياسين.
- ساعة مع العارفين، سعيد الأعظمي الندوي.
- سيكولوجية القصة في القرآن، د.التهامي نقرة.
- مدخل إلى القرآن الكريم، د. عبد الله دراز.
- أصوات القرآن، يوسف الخليفة أبو بكر.
- فضائل القرآن، للنسائي، تحقيق د.فاروق حمادة.
- مفاتيح للتعامل مع القرآن، د.الخالدي.

لفتةٌ قرآنيّةٌ:

في قوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾[٤٢١]، دليل على أن الفقه بالقلوب.

(٤٢١) ١٧٩: الأعراف: ٧.

تأمَّـلْ:

قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾[٤٢٢].

تأمّل هذه الآيات وأسرار التعبير فيها ودقته، ودلالاته، واربطْ بينها وبين الآيات ذات العلاقة، ومِنْ ثمّ التمس ما اشتملت عليه من قوانين التغيير والتقويم المتاح للإنسان، ولاسيما المسلم، وأسباب الصواب والخطأ!

دقةُ القرآن وأغلاطُ قُرّائه:

هذا الكتاب رسالةٌ إلهيّةٌ إلى البشرية، مُحْكَمَةٌ!

ولقد بَلَغَ الإحكام والدقة في كتاب الله عز وجل درجةً لا يُمْكِنُ أن يُشاركه فيها كتابٌ آخر!

فلقد بَلَغَ الإحكام والدقة في كتاب الله تعالى إلى درجة أن كل لفظٍ منه، وكل حرفٍ، قد جاء في موضعه المُحْكَمِ، بحيث لو نُقِلَ عنه إلى موضعٍ سواه، أو بُدِّلَ به غيره، لاختلَّ المعنى، ولَمَا كان لذلك التبديل أن يؤدي معنى كلام الله، والإعجازِ الذي فيه، بحالٍ!

ومما نبهني إلى هذا المعنى، ما سمعته من مضحكات في أغلاط القارئين العفوية، وهم يَتْلون آيات الله، في الصلاة أو خارجها؛ فخرَجْتُ بنتيجةٍ يقينيّة وهي أن: كل غلطٍ يقع فيه قارئ القرآن: بزيادة لفظٍ، أو أكثر، أو حرفٍ، أو أكثر، أو نقْصِ واحدٍ منهما، أو تبديله بغيره، فهو دليلٌ وشاهدٌ على الدقة والإحكام في القرآن الكريم؛ لأن الشيء يُعْرف

(٤٢٢) ٢٠١-٢٠٢: الأعراف: ٧.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بضدّه، وكل غلطٍ، من هذا القبيل، في قراءة الآية أو الآيات، يَخْرُج بتلك الآية أو الآيات عن أن تكون نصّ كلام الله، حتى لو كانت الجملة معه تامةً من حيث المعنى. وسيَكُون ذلك الغلطُ، أو ذلك التغيير، عنواناً يَشْهد بأن الكلام -معه- ليس كلام الله تعالى، كما ستكُون من جهة أُخرى عنواناً وشاهداً بأن كلام الله من الدّقّة المُحْكَمة في درجة الإعجاز؛ فلا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن هذا القرآن الكريم كلامه!

ودونك هذه القاعدة الآنفة الذكْر، طبّقْها على أي غلطٍ تسمعه من قارئٍ، سواء كان أنت أو غيرك؛ لترى مصداق ما قلتُه لك!

ومن الأمثلة، ما يلي:

- قرأ مرّةً أحدُهم قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ فغَلِطَ فقال: (بَلَى مَنْ أَحْسَنَ وَجْهَهُ لله...)!

فانظر الفرق؛ ليَشْهدَ عقلُك وقلْبُك بالشهادة التي أَنبأتُك عنها، أيها العاقل المؤمن!

القرآن كتابٌ للناس كافةً:

قرأ الإمام مرّة، فيما قرأ، قولَهُ تعالى: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾(٤٢٣).

فقلتُ في نفسي: سبحان الله العظيم! الله عز وجل يخاطبُ عبيده المجرمين والخاطئين العصاة بهذا النداء؟

ثم تأملتُ ثانية، فرأيت القرآن الكريم كتاباً لكل الناس، وخطاباً لكلّ الناس، وتعليماً وإرشاداً لكل الناس!

نعم للناس كلهم:

مسلمهم وكافرهم.

(٤٢٣) ٥٣: الزمر: ٣٩.

تَقيّهم وفاجرهم.
كبيرهم وصغيرهم.
ذكرهم وأُنثاهم.
سيّدِهم ومَسُودِهم.
حُرِّهم وعبدهم.
طائعهم وعاصيهم.
عالمهم وجاهلِهم.
أُمِّيِّهم ومتعلمهم.
غنيِّهم وفقيرهم.
فيلسوفهم وزبّالِهم.
ذكيّهم وغبيّهم!

نَعَمْ إنه خطابٌ إلى هؤلاء جميعاً، ودستورٌ لكل مَن أراد الاهتداء به من هؤلاء جميعاً.

وهو يخاطِب هؤلاء جميعاً خطاباً يناسبهم إلى درجة الإعجاز في ذلك.

وهو -بجملته- نصُّهُ خطابٌ لهؤلاء جميعاً، ومناسبٌ جدّاً أن يَسْمعوه جميعاً، بل واجبٌ عليهم أن يَسْمعوه، وأن يستمعوا له.

فليس فيه نصٌّ خاصٌّ بفئةٍ من هؤلاء، بحيث لا يناسب أن يَطَّلِعَ عليه فئةٌ أو أكثر من بقيّة الفئات!

ثم هو في كونه خطاباً لهؤلاء الناس كلهم، لم يأتِ مُقسّماً إلى فصولٍ، أو مباحث، أو مقاطع، مخصَّصاً كلٌّ منها لصنفٍ من أصناف الناس هذه، وإنما النصّ كلّه لهؤلاء كلهم! وهذا إعجازٌ في إعجاز، يشهد أنْ لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وأن هذا الكتاب كتاب الله!

إنَّ من المدهش المعجز حقاً، أن يأتي هذا الكتاب الكريم بهذه الصيغة!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إنه في الوقت الذي يُخاطِبُ فيه الكبير يخاطِب الصغير، وبالنصّ نفسه!

وفي الوقت الذي يُخاطِبُ فيه المسلم يخاطِبُ الكافر، وبالنصّ نفسه!

وفي الوقت الذي يُخاطِبُ فيه السيدَ يخاطِبُ المَسُود، وبالنصّ نفسه!

وفي الوقت الذي يُخاطِبُ فيه الراعيَ يخاطِبُ الرعيّة، وبالنصّ نفسه!

وفي الوقت الذي يُخاطِبُ فيه الغنيَّ يخاطِبُ الفقير، وبالنصّ نفسه!

وفي الوقت الذي يُخاطِبُ فيه الذّكيَّ يخاطِبُ غيره، وبالنصّ نفسه!

وفي الوقت الذي يُخاطِبُ فيه المتعلمَ يخاطِبُ الأمّيّ، وبالنصّ نفسه!

وفي الوقت الذي يُخاطِبُ فيه العالِمَ يخاطِبُ الجاهل، وبالنصّ نفسه!

وفي الوقت الذي يُخاطِبُ فيه الطائعَ يخاطِبُ العاصيَ، وبالنصّ نفسه!

وهو في كل ذلك دواءٌ، وهدايةٌ، ونورٌ، وتَبْصِرةٌ لأولئك جميعاً!

إنه مناسبٌ لهم جميعاً، وبهذه الصيغة، وبهذه الطريقة!

حقاً إن هذا إعجازٌ إلهيٌّ، يشهد أن لا إله إلا الله.

ولئن كان من أُسس البلاغة، ومن أُسس استقامة الكلام، مراعاةُ القاعدة القائلة: لكل مقامٍ مقال. ومراعاة القاعدة التربوية القائلة: خاطِبوا الناس على قدْر عُقولهم. فإنّ القرآن الكريم قد اطّردت فيه هذه الناحية البلاغية وهذه الناحية التربوية، وجاءت مراعاتهما في الكتاب الكريم على أدقّ ما يكون، وألْطَفِ ما يكون، ولكن بهذه الطريقة المعجزة!

أمَّا غير القرآن فلا يُمْكِن أن يُهيأ له مراعاةُ: "لكل مقامٍ مقال"، و"خاطِبوا الناس على قدْر عقولهم"، بهذه الطريقة، وبهذا الشمول، بحالٍ،

وإنما عليه أن يتخير المخاطبين فيراعي خصوصيتهم، أو يتخير الناس بعامّة فيتجاهل خصوصياتهم!

أمّا القرآن فشيءٌ آخر!

النصّ واحدٌ، والمخاطبون أصنافٌ كثيرة، مختلفةُ الأعمار والأفهام والأحوال والظروف، إنهم الناس كافةً، ومع ذلك فهو مناسبٌ لهم جميعاً، وكلٌّ منهم له فيه مهتدىً إذا رغب!

إنهم يقرءون النص القرآني، أو يستمعون إليه، فيشعر كلٌّ منهم أن هذا الكلام يَعنيه، وأن فيه هدايته، وأنه مُنْزلٌ إليه!

والعجيب أن يقرأ مختلف أصناف الناس وفئاتهم نصاً واحداً فيخرج كلٌّ منهم بتبصرةٍ وهداية تَعْنِيه، كلٌّ على قدْر فهمه، وعلى حَسَب ظرفه، وعلى حسب وظيفته ومسؤوليته!

وسأضرب فيما يلي بعض الأمثلة التطبيقيّة الموضِّحة لهذه الحقيقة.

أمثلةٌ تطبيقيّة:

كلُّ نصٍ من القرآن الكريم هو مثالٌ شاهدٌ على أنّ هذا القرآن موجَّهٌ للناس جميعاً، وأنه في أعلى درجات البلاغة، وأنه في أسمى منهجٍ تربويّ، وهو يخاطبهم جميعاً بنصٍ واحدٍ يَصلُح لهم جميعاً.

ولْنتخيّرْ بعض الأمثلة وبعض النماذج في مخاطبته لمختلَف أصناف الناس وفئاتهم.

المثال الأول:

المثال الأول الذي أختاره هنا، هو طريقة مخاطبة اللّه العاصين من عباده، وأسلوب دعوته لهم في القرآن الكريم إلى الهدى، وهو كثيرٌ في القرآن، وأَمثلته متعددة، يَصْعب استيعابها سَرْداً -فضلاً عن تحليلها-

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولهذا أَختارُ مثالاً واحداً منها، ولْيَكُن النص الذي استوحيت منه أَصْل هذه الفكرة، ولْنقف على الآيات أوّلاً، ثم التعليق عليها.

النَّصُّ القرآني:

قال الله تعالى: ﴿ ۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ ﴾(٤٢٤).

هذا هو النص الكريم، وقد عَلِمْنا أنه خطابُ الله لعباده العاصين والمسرفين على أنفسهم. والحقُّ أن الكلام إلى الآية (٧٥) التي هي نهاية السورة، إنما هو كلامٌ يدور في ظِلال هذا المعنى وهذا النداء الإلهيّ.

يخاطب العاصين خطابَهُ للطائعين بالآيات نفسها؛ على درجةٍ من الإحكام بحيث لا يتصور أحدُ الفريقين أن الكلام لغيره، أو أن يناسب غيره!

ويأخذ كلٌّ من العاصين والطائعين، مِن هذا الخطاب وهذا النداء، تبصرةً، وهدايةً ونوراً ورحمةً!

ويستخرج كلٌّ منهم من النص هُدىً على قدر ما يناله فهمه وإمكاناته من هدايات القرآن الكريم!

ويخاطب الأذكياء خطابه لمن دونهم، دون أن يَشعر كلٌّ منهم أن

(٤٢٤) ٥٣-٥٩: الزمر: ٣٩.

الخطاب يَعْني سِواه!

ويأخذ كلٌّ منهم تبصرةً وهدايةً ونوراً ورحمةً!

ويتلقى أو يَستخرج كلٌّ مِن الأذكياء، فمَن دونهم، من ذلك الخطاب الإلهيّ من المعاني والهداية على قدر فَهْمه وبحسب إمكاناته!

المثال الثاني:

ما جاء في القرآن الكريم مِن التعبير عن موضوعات خاصّة، تُوجَّه إلى بعض الناس، دون بعض، مثلاً، فيأتي التعبير القرآنيُّ عنها بأسلوبٍ يَقرؤه المعنيُّ به وغيرُ المعنيّ به، دون شعورٍ بالغرابة، أو عدم الحاجة إلى ذلك النصّ! ومِن الأمثلة: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا مِنكُمۡ فَـَٔاذُوهُمَاۖ فَإِن تَابَا وَأَصۡلَحَا فَأَعۡرِضُواْ عَنۡهُمَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ تَوَّابٗا رَّحِيمًا ١٦﴾[٤٢٥].

ومما وردَ مِن هذا القبيل في الكتاب العزيز: الآيات في موجِبات الغُسْل، والآيات في نواقض الوضوء، والآيات في المعاشرة الزوجية، والآيات في الاستئذان في الدخول في أوقات النهي عن الدخول بدون استئذان، والآيات في الحديث عن حدّ الفاحشة، وهكذا الأمثلة، التي جاءت على ما أَشرتُ إليه مِن طبيعة هذا النوع مِن الآيات، التي تتحقق فيها تلك الخاصّية واضحةً.

(٤٢٥) ١٦: النساء: ٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث السابع

مِن مواقف السلف تجاه القرآن

- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ فَأُصِيبَتِ امْرَأَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَافِلاً، وَجَاءَ زَوْجُهَا وَكَانَ غَائِباً، فَحَلَفَ أَنْ لا يَنْتَهِي حَتَّى يُهْرِيقَ دَماً فِي أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَخَرَجَ يَتْبَعُ أَثَرَ النَّبِيِّ ﷺ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَنْزِلاً، فَقَالَ: مَنْ رَجُلٌ يَكْلَؤُنَا لَيْلَتَنَا هَذِهِ؟ فَانْتَدَبَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالا: نَحْنُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَكُونُوا بِفَمِ الشِّعْبِ، قَالَ: وَكَانُوا نَزَلُوا إِلَى شِعْبٍ مِنَ الْوَادِي، فَلَمَّا خَرَجَ الرَّجُلانِ إِلَى فَمِ الشِّعْبِ، قَالَ الأَنْصَارِيُّ لِلْمُهَاجِرِيِّ: أَيُّ اللَّيْلِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنْ أَكْفِيَكَهُ، أَوَّلَهُ أَوْ آخِرَهُ؟ قَالَ: اكْفِنِي أَوَّلَهُ. فَاضْطَجَعَ الْمُهَاجِرِيُّ فَنَامَ، وَقَامَ الأَنْصَارِيُّ يُصَلِّي، وَأَتَى الرَّجُلُ فَلَمَّا رَأَى شَخْصَ الرَّجُلِ عَرَفَ أَنَّهُ رَبِيئَةُ الْقَوْمِ، فَرَمَاهُ بِسَهْمٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ، فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ، وَثَبَتَ قَائِماً، ثُمَّ رَمَاهُ بِسَهْمٍ آخَرَ فَوَضَعَهُ فِيهِ، فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ، وَثَبَتَ قَائِماً، ثُمَّ عَادَ لَهُ بِثَالِثٍ فَوَضَعَهُ فِيهِ، فَنَزَعَهُ فَوَضَعَهُ، ثُمَّ رَكَعَ وَسَجَدَ، ثُمَّ أَهَبَّ صَاحِبَهُ فَقَالَ: اجْلِسْ فَقَدْ أُوتِيتَ. فَوَثَبَ، فَلَمَّا رَآهُمَا الرَّجُلُ عَرَفَ أَنْ قَدْ نَذِرُوا بِهِ فَهَرَبَ فَلَمَّا رَأَى الْمُهَاجِرِيُّ مَا بِالأَنْصَارِيِّ مِنَ الدِّمَاءِ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ أَلا أَهْبَبْتَنِي! **قَالَ: كُنْتُ فِي سُورَةٍ أَقْرَؤُهَا؛ فَلَمْ أُحِبَّ أَنْ** أَقْطَعَهَا حَتَّى أُنْفِذَهَا، فَلَمَّا تَابَعَ الرَّمْيَ رَكَعْتُ فَآذَنْتُكَ، وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْلا أَنْ أُضَيِّعَ ثَغْراً أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِهِ لَقَطَعَ نَفْسِي قَبْلَ أَنْ أَقْطَعَهَا أَوْ أُنْفِذَهَا)[٤٢٦].

(٤٢٦) أحمد: ٣٤٣/٣ رقم ١٤٧٠٤، وأبو داود، ١٩٨، الطهارة، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

• وعَنْ أَبِي سلَمة قَالَ: حدَّثَني عَبْدُ اللَّه بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ كُنْتُ أَصُومُ الدَّهْرَ، وَأَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ، قَالَ: فَإِمَّا ذُكِرْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَإِمَّا أَرْسَلَ إِلَيَّ، فَأَتَيْتُهُ، فَقَالَ لِي: أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَصُومُ الدَّهْرَ، وَتَقْرَأُ الْقُرْآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ؟ فَقُلْتُ بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَلَمْ أُرِدْ بِذَلِكَ إِلا الْخَيْرَ. قَالَ: فَإِنَّ بِحَسْبِكَ أَنْ تَصُومَ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَلِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، قَالَ: فَصُمْ صَوْمَ دَاوُدَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ، فَإِنَّهُ كَانَ أَعْبَدَ النَّاسِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَمَا صَوْمُ دَاوُدَ؟ قَالَ: كَانَ يَصُومُ يَوْماً. وَيُفْطِرُ يَوْماً قَالَ: وَاقْرَأِ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عِشْرِينَ، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عَشْرٍ، قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ سَبْعٍ وَلا تَزِدْ عَلَى ذَلِكَ؛ فَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقّاً وَلِزَوْرِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَلِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، قَالَ: فَشَدَّدْتُ، فَشُدِّدَ عَلَيَّ، قَالَ: وَقَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّكَ لا تَدْرِي لَعَلَّكَ يَطُولُ بِكَ عُمُرٌ. قَالَ فَصِرْتُ إِلَى الَّذِي قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ؛ فَلَمَّا كَبِرْتُ وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ قَبِلْتُ رُخْصَةَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ)[٤٢٧].

(٤٢٧) مسلم، ١١٥٩، الصيام.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المبحث الثامن

أقوال عن القرآن وتدبره منقولة عن الإمام الذهبي

أذْكر فيما يأتي أقوالاً في القرآن وتدبره، مأخوذة عن الإمام الذهبي، رحمه اللّه تعالى، سواء كانت مما نقله من أقوال غيره، أو من أقواله وتعليقاته. لكنها على أيّ حالٍ، هي أقوالٌ نفيسة، تشتد حاجة الراغب في تدبر الكتاب العزيز إليها[٤٢٨].

فَمِن هذه الأقوال:

أ-في قراءة القرآن:

- «وصحَّ من وجوهٍ أن عثمان قرأ القرآن كله في ركعة»[٤٢٩].
- «عن عطاء بن السائب، أن أبا عبد الرحمن (هو السلمي) قال: أَخذْنا القرآن عن قومٍ أخبرونا أنهم كانوا إذا تعلّموا عَشرَ آياتٍ لم يُجاوزوهُنَّ إلى العَشر الأُخَرِ حتى يَعْلموا ما فيهن، فكُنّا نتعلّم القرآن والعَملَ به، وسَيَرِثُ القرآنَ بعدنا قومٌ يشربونَهُ شرب الماء، لا يُجاوِزُ تَراقِيَهُم»[٤٣٠].
- «عن عبد اللّه قال: قال لي رسول اللّه ﷺ : (اقرأ عليَّ القرآن، قلتُ: يا رسول اللّه أقرأُ عليكَ وعليكَ أُنزل؟ قال: إني أشتهي أن أَسمعَه من غيري.

---

(٤٢٨) وربما اقتضى المقام إيراد بعض الأقوال في أكثر من موضع؛ للحاجة إليه في كليهما.

(٤٢٩) تهذيب سير أعلام النبلاء: ٧٢ أ. (الألف هذه -بعد رقم الصفحة- تَعْني القِسمَ الذي كتَبَه من عنده د.محمد حسن عقيل موسى، صاحب المختصر-نزهة الفضلاء-في أوّله في طبعته الثانية، حيث رقّمَ هذه الزيادة ترقيماً مستقلاً محافَظةً على أرقام الصفحات في الطبعة الأُولى).

(٤٣٠) تهذيب سير أعلام النبلاء: ٣٨٣.

فقرأتُ عليه سورة النساء حتى بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾(٤٣١)، فغمزني برجله ، فإذا عيناهُ تَذْرِفان))(٤٣٢).

- قال في ترجمة سَلْم بن ميمون الخوَّاص: «وقال أحمد بن ثعلبة: سمعتُ سَلْماً الخوَّاص قال: قُلت لنفسي: يا نفسُ، اقرئي القرآن كأنك سمعتيه من الله حين تكلَّم به، فجاءت الحلاوةُ!
- «وقال أنس: قال النبي ﷺ لأبيّ بن كعب: (إن الله أمرني أن أقرأَ عليك القرآن)(٤٣٣)، وفي لفظ: (أمرني أن أُقرئك القرآن)(٤٣٤)».

قال: الله سماني لك؟ قال: "نعم" قال: وذُكرتُ عند رب العالمين؟ قال: "نعم". فذرفت عيناه. ولما سأل النبيُّ ﷺ أُبيّاً عن أيّ آيةٍ في القرآن أَعظمُ، فقال أبيٌّ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾(٤٣٥)، ضرب النبي ﷺ في صدره وقال: (لِيَهْنِكَ العِلْمُ أبا المنذر))(٤٣٦).

- قال أنس بن مالك: جَمع القرآنَ على عهد رسول الله ﷺ أربعةٌ كُلُّهم من الأنصار: أُبيّ بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد، أحد عمومتي(٤٣٧).
- عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: أَقرأُ أُمتي أُبيّ))(٤٣٨).

---

(٤٣١) ٤١: النساء: ٤.

(٤٣٢) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٨٣. والحديث عند البخاري، ٤٥٨٢، التفسير، بلفظ قريب من هذا.

(٤٣٣) البخاري، ٣٨٠٩، مناقب الأنصار، ومسلم، ٧٩٩، صلاة المسافرين وقصرها.

(٤٣٤) البخاري، ٤٩٦١، التفسير.

(٤٣٥) ٢٥٥: البقرة: ٢.

(٤٣٦) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٦٨. والحديث عند مسلم، ٨١٠، صلاة المسافرين وقصرها.

(٤٣٧) البخاري، ٣٨١٠، مناقب الأنصار، ومسلم، ٢٤٦٥، الفضائل.

(٤٣٨) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٦٨. والحديث عند الترمذي، ٣٧٩٠، المناقب، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- «عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: (خُذُوا القرآن من أربعةٍ: من ابن مسعود، وأبيّ، ومُعاذ بن جبل، وسالمٍ مولى أبي حُذيفة)»(٤٣٩).
- «عن مسروق قال عبد الله: والذي لا إله غيره لقد قرأتُ منْ فِي رسول الله ﷺ بضعاً وسبعين سورة، ولو أعلم أحداً أعلم بكتاب الله مني تُبْلِغُنيه الإبل لأتيتُه»(٤٤٠).
- قال في ترجمة ابن الأخرم: «قال محمد بن علي السُّلَمِيُّ: قمتُ ليلةً سَحَراً لآخذ النَّوْبةَ على ابن الأخرم، فوجدتُ قد سبقني ثلاثون قارئاً، وقال: لم تدركْني النَّوْبَةُ إلى العَصْرِ»(٤٤١).
- «قال ابن وهب: قيل لأخت مالك: ما كان شغل مالك في بيته؟ قالت: المصحف، التلاوة»(٤٤٢).
- «قال سلم بن قُتَيْبَة: ربُما سمعتُ شُعبة يقول لأصحاب الحديث: يا قوم! إنكم كلما تقدَّمتم في الحديث تأخرتُم في القرآن»(٤٤٣).
- قال في ترجمة أبي سهل القَطّان: «قال أبو عبد الله بن بشر القَطّان: ما رأيتُ أحسنَ انتزَاعاً لمَا أراد من آي القُرآن، من أبي سهل بن زياد، وكان جارَنا، وكان يُديم صَلاةَ اللَّيل، والتِّلاوةَ، فَلكثرة دَرْسِه صار القرآن كأنَّه بين عَيْنَيه»(٤٤٤).
- «عن أبي عبد الرحمن السُّلمي، أنَّه جاء وفي الدار جِلال وجُزُر،

(٤٣٩) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٧٨. والحديث عند البخاري، ٣٧٥٨، فضائل أصحاب النبي ﷺ، ومسلم، ٢٤٦٤، الفضائل.

(٤٤٠) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٨٢. والحديث عند البخاري، ٥٠٠٠، فضائل القرآن، ومسلم، ٢٤٦٢، الفضائل.

(٤٤١) تهذيب سير أعلام النبلاء، ١١٤٥.

(٤٤٢) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٦٢٤.

(٤٤٣) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٥٨٢.

(٤٤٤) تهذيب سير أعلام النبلاء، ١١٤٣.

فقالوا: بعث بها عمرو بن حُرَيث؛ لأنَّك علَّمتَ ابنه القرآنَ؛ فقال: رُدّ؛ إنّا لا نأخذ على كتاب اللّه أجراً»[٤٤٥].

- قال الذهبي في ترجمة ابن عُقْدة: «قال: وكان يؤدِب ابن هشام الخَزَّاز، فلمّا حَذَقَ الصَّبيُّ وتعلَّم، وجَّه إليه أبوه بدنانير صالحة، فردَّها؛ فظَنَّ ابنُ هشام أنَّها اسْتُقلَّتْ؛ فأَضْعفها له، فقال: ما رددْتُها استقْلالاً، ولكنْ سألَني الصبيّ أنْ أعلّمَه القُرآن، فاخْتلط تعليمُ النَّحْوِ بتعليم القرآن، ولا أستحل أن آخذ منه شيئاً، ولو دَفَع إليَّ الدنيا.

ثم قال ابن النجار: وكان عُقْدةُ زيدياً، وكان وَرِعاً ناسكاً، سُمّي عُقُدَة لأجل تعقيده في التَّصْرِيف، وكان ورَّاقاً جيّدَ الخط، وكان ابنُه أحفظَ مَنْ كان في عَصْرنا للحديث»[٤٤٦].

- «عن هشام، عن أبيه، قال: لقد صَحبتُ عائشَة، فما رأيتُ أحداً قطُّ كان أعلم بآية أُنزلت، ولا بفريضة، ولا بسُنَّة، ولا بشعرٍ، ولا أروى له ولا بيوم من أيام العرب، ولا بنسبٍ، ولا بكذا، ولا بكذا، ولا بقضاء، ولا طبٍّ، منها. فقلتُ لها: يا خالةُ الطبُّ من أين عُلّمْته؟ فقالت: كنتُ أمرضُ فيُنعَتُ لي الشيءُ، ويَمرضُ المريضُ فيُنعتُ له، وأسمعُ الناس ينعتُ بعضهُم لبعض، فأحفظه»[٤٤٧].

- «قال سعيدُ بن عبد العزيز: حدثني أبو يوسف: حاجبُ مُعاوية: أنّ أبا موسى الأشعري قَدِمَ على معاوية، فنَزل في بعض الدور بدمشق، فخرج معاويةُ في الليل ليستَمِعَ قِراءَته»[٤٤٨].

- «عن أنس: أن أبا موسى قرأ ليلةً، فقُمْن أزواجُ النبي ﷺ يستمعن

(٤٤٥) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٣٨٣.
(٤٤٦) تهذيب سير أعلام النبلاء، ١١٢٠.
(٤٤٧) تهذيب سير أعلام النبلاء، ١٣١.
(٤٤٨) تهذيب سير أعلام النبلاء، ١٦٥.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لقراءته، فلما أصبح أُخبر بذلك؛ فقال: لو علمتُ لحبَّرتُ تحبيراً، ولشوَّقْتُ تشويقاً))[٤٤٩].

- ((عن أبي سلمة: كان عمر إذا جلس عنده أبو موسى ربما قال له، ذكِّرنا يا أبا موسى؛ فيقرأ))[٤٥٠].
- ((قال أبو عثمان النَّهدي: ما سمعتُ مِزماراً، ولا طُنبوراً، ولا صنجاً، أحسنَ من صوتِ أبي موسى الأشعري، إنْ كان ليصلي بنا؛ فنودّ أنّه قرأ البقرة؛ من حُسْنِ صوته))[٤٥١].
- ((عن مسروق، قال: خرجنا مع أبي موسى في غَزاة، فجنَّنا الليلُ في بستان خَرِب، فقام أبو موسى يصلي، وقرأ قراءةً حسنة، وقال: اللهُمَّ أنت المؤمن، تُحبُّ المؤمن، وأنت المهيمن، تُحِبُّ المهيمن، وأنت السلام، تُحِبُّ السلام))[٤٥٢].
- ((روى الزُّبير بن الخِرِّيت، عن أبي لَبيد، قال: ما كنا نَشبِّه كلام أبي موسى إلا بالجزار، الذي ما يُخطئ المَفْصِل))[٤٥٣].
- وقال في ترجمة علقمة بن قيس الكوفي: ((عن علقمة، قال: كنتُ رجلاً قد أعطاني اللّه حُسْنَ الصوتِ بالقرآن، وكان ابن مسعود يُرسِل إليَّ، فأقرأ عليه، فإذا فرغتُ من قِراءتي، قال: زدنا فداك أبي وأميّ))[٤٥٤].
- وقال الذهبي في ترجمة طَلْق بن حَبِيب العَنَزي: ((وكان طَيِّبَ الصوت

(٤٤٩) تهذيب سير أعلام النبلاء، ١٦٨.
(٤٥٠) تهذيب سير أعلام النبلاء، ١٦٨.
(٤٥١) تهذيب سير أعلام النبلاء، ١٦٨.
(٤٥٢) تهذيب سير أعلام النبلاء، ١٦٨.
(٤٥٣) تهذيب سير أعلام النبلاء، ١٦٩.
(٤٥٤) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٣٣٢.

بالقرآن، بَرَّاً بوالديه))[٤٥٥].

- وقال أبو بكر بن عياش في عاصم بن أبي النجود: ((... وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن؛ حتى كأن في حنجرته جَلاجل))[٤٥٦].
- وقال يونس في وَرْشٍ عثمان بن سعيد بن عبد اللّٰه: ((كان جَيّدَ القراءة، حَسَنَ الصوت، إذا قرأ يَهْمز، ويَمُدّ، ويَشدِّد، ويُبَيّنُ الإعراب. لا يَمَلُّهُ سامعُهُ))[٤٥٧].
- وقال الذهبي في ترجمة عبد الرحمن بن بِشْر بن الحَكَم: ((وكان ابن بِشْرٍ موصوفاً بطيب الصوت. قال مكيُّ بن عَبْدان: كان عبد اللّٰه بن طاهر الأمير يَحْضرُ بالليل متنكّراً إلى مسجد عبد الرحمن؛ ليسمع قراءته))[٤٥٨].
- ((...وكان من أطيب الناس صوتاً بالقرآن،...))[٤٥٩].
- قال ابنُ الجوزيّ: ((لم أسمع قارئاً قطُّ أطيبَ صوتاً منه، ولا أحسنَ أداءً على كبرِ سنّه،...))[٤٦٠].
- وقال السَّمعانيُّ: ((...حسنَ القراءةِ في المحراب، خصوصاً ليالي رمضان،...))[٤٦١].
- عن عبد اللّٰه قال: ((كُنّا إذا تعلمنا من النبيّ ﷺ، عشرَ آيات لم نتعلم

(٤٥٥) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٤٥٥.

(٤٥٦) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٤٨٧.

(٤٥٧) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٧١١.

(٤٥٨) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٨٩٤.

(٤٥٩) تهذيب سير أعلام النبلاء، ١٤٠٩. في ترجمة أبي محمد عبد اللّٰه بن علي الخياط.

(٤٦٠) تهذيب سير أعلام النبلاء، ١٤٠٩.

(٤٦١) تهذيب سير أعلام النبلاء، ١٤٠٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من العشرِ التي نزلت بعدها حتى نعلمَ ما فيها، يعني من العلم»[٤٦٢].

- عن جُندب قال: «كُنّا غلماناً حزاورةً مع رسول الله ﷺ فتعلَّمنا الإيمانَ قبل أن نَتَعلَّمَ القُرآن، ثم تعلَّمْنَا القرآن، فازددْنا به إيماناً»[٤٦٣].
- عن حفصة بنت سيرين قالت: (قال لي أبو العالية: قرأتُ القرآن على عمر ﷺ ثلاث مِرَار)[٤٦٤].
- قال الذهبي في ترجمة يحيى بن وثاب: «قُلت: قرأ القرآن كُلَّه على عُبيد بن نُضَيلة، صاحب علقمة، فتحفَّظ عليه كُلّ يوم آية»[٤٦٥].

قال الذهبي في ترجمة مجاهد بن جبر: «رَوى عن ابن عباس، فأكثر وأطاب، وعنه أخذَ القرآن، والتفسير، والفقه»[٤٦٦].

- عن مجاهد: قال: «عرضت القرآن ثلاث عرضات على ابن عباس، أقِفُه عند كُلّ آية، أسأله فيمَ نزَلت، وكيف كانَت»[٤٦٧].
- قال يحيى بنُ آدم، عن أبي بكر بن عياش قال: «تعلمت القرآن من عاصم خمساً خمساً، ولم أتعلم من غيره، ولا قرأتُ على غيره»[٤٦٨].
- وعن أبي بكر بن عياش قال: «الدخول في العلم سهْلٌ، لكن الخروج منه إلى الله شديدٌ»[٤٦٩].
- ويقال: «إنه (يعني عثمانَ بنَ سعيد الإفريقي) تلا على نافعٍ أربعَ

(٤٦٢) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٨٤.
(٤٦٣) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٢٤٩.
(٤٦٤) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٣٦٦.
(٤٦٥) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٤٠٢.
(٤٦٦) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٤١٨.
(٤٦٧) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٤١٨.
(٤٦٨) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٦٧٥.
(٤٦٩) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٦٧٥.

خَتْماتٍ في شهر واحد))[٤٧٠].

• وقيل: ((إن سُلَيماً تلا على حمزةَ بنِ حبيب عشْرَ ختم))[٤٧١].

• عن مَحمد بن كعب قال: ((جمعَ القرآن خمسةٌ: معاذٌ، وعُبادةُ بنُ الصامت، وأبو الدَّرداء، وأُبَيٌّ، وأبو أيوب. فلما كان زمن عُمر، كتب إليه يزيدُ بنُ أبي سفيان: إنَّ أهل الشام قد كثروا، وملأوا الْمَدائن، واحتاجوا إلى من يُعلّمهم القرآن ويُفقههم. فأعنّي برجال يُعَلّمونهم.

فدعا عُمر الخمسةَ، فقال: إنَّ إخوانكم قد استعانوني من يُعلّمهم القرآن، ويُفَقّهُهمُ في الدين، فأعينوني يرحَمكُم اللّه بثلاثة منكم إن أحببتُم، وإن انتدب ثلاثةٌ منكم فَلْيخرجُوا.

فقالوا: ما كنا لنتساهم، هذا شيخٌ كبير -لأبي أيوب- وأما هذا فسقيم لأُبيّ؛ فخرج معاذٌ وعُبادةُ، وأبو الدرداء.

فقال عُمر: ابدؤوا بحمص، فإنكم ستجدونَ الناس على وُجوهٍ مختلفة: منهم من يَلْقن، فإذا رأيتم ذلك، فوَجّهوا إليه طائفة من الناس، فإذا رضيتُم منهم، فليُقِم بها واحد، ولْيخرج واحد إلى دمشق، والآخرُ إلى فلسطين. قال: فقَدموا حمص فكانوا بها، حتى إذا رضُوا من الناس، أقام بها عُبادةُ بن الصامت، وخرج أبو الدَّرْداء إلى دمشق، ومُعاذٌ إلى فلسطين، فمات في طاعون عَمْواس. ثم صارَ عُبادةُ بعدُ إلى فلسطين، وبها مات. ولم يزل أبو الدرداء بدمشق حتى مات))[٤٧٢].

• عن مسلم بن مِشْكم: قال لي أبو الدرداء: ((اعدُدْ مَن في مجلسنا. قال: فجاءوا ألفاً وستَّ مئة ونيفاً. فكانوا يقرؤون، ويتسابقون عشرة عشرة، فإذا صلَّى الصبحَ، انفتل وقرأ جزءاً، فَيُحدِقُون به يسمعون

(٤٧٠) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٧١١.
(٤٧١) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٧١٨.
(٤٧٢) تهذيب سير أعلام النبلاء، ١٥٨.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ألفاظه، وكان ابنُ عامر مقدَّماً فيهم.

- وقال هشام بنُ عمَّار: حدَّثنا يزيدُ بنُ أبي مالك، عن أبيه، قال: كان أبو الدرداء يُصلي، ثم يُقرئ ويَقرأ، حتى إذا أراد القيام، قال لأصحابه: هل من وليمة أو عَقيقة نشهدُها؟ فإن قالوا: نعم، وإلا قال: اللهم إني أُشهدُك أني صائم. وهو الذي سنَّ هذه الحِلَق للقراءة»[٤٧٣].
- وقيل: «الذين في حلقة إقراء أبي الدرداء كانوا أزيدَ من ألف رجل، ولكُلِّ عشرةٍ منهم ملقِّن، وكان أبو الدرداء يطوفُ عليهم قائماً، فإذا أحكمَ الرجلُ منهم، تحول إلى أبي الدرداء -يعني يعرض عليه»[٤٧٤].
- وقال في ترجمة شقيق بن سلَمة أبي وائل: «محمد بن فضيل: عن أبيه، عن أبي وائل: أنه تعلَّم القرآن في شهرين»[٤٧٥].
- ونقل الذهبي عن أُبيّ بن كعب أنه قال: "إنا لنقرؤه في ثمان ليالٍ" يعني القرآن"[٤٧٦].
- ونقل الذهبي عن أبي المهلب أن تميماً الداري كان يختم القرآن في سبع[٤٧٧].
- "وقال أبو خَلدة خالدُ بن دينار: سمعتُ أبا العالية يقول: كُنَّا عَبيداً مملوكين، منَّا من يؤدِّي الضرائب، ومنَّا من يخدُم أهله، فكُنَّا نختم كلَّ ليلة، فشقَّ علينا، حتى شكا بعضُنا إلى بعض. فلقينا أصحابَ رسول الله ﷺ فعلَّمونا أن نختم كُلَّ جُمُعَة، فصلَّينا ونمنا ولم يشُقَّ علينا"[٤٧٨].
- "قال عمرو بن عبد الرحمن بن مُحيريز: كان جدِّي يختم في كلِّ

(٤٧٣) تهذيب سير أعلام النبلاء، ١٥٩.
(٤٧٤) تهذيب سير أعلام النبلاء، ١٦١. وكان يقول ذلك؛ لقربه منهم وحُسْن تعامله معهم.
(٤٧٥) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٣٥٧.
(٤٧٦) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٦٩.
(٤٧٧) تهذيب سير أعلام النبلاء، ١٧٦.
(٤٧٨) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٣٦٧.

جُمعة، وربما فَرَشْنا له فلم يَنَمْ عليه"[٤٧٩].

- "ابن فُضيل، عن أبيه، قال: كان أبو إسحاق يقرأ القرآن في كل ثلاث"[٤٨٠].
- نقل الذهبي في ترجمة الأسود بن يزيد النخعي، عن إبراهيم النخعي أنه قال: "كان الأسود يختم القرآن في رمضان في كلِّ ليلتين، وكان ينام بين المغرب والعشاء، وكان يختم القرآن في غير رمضان في كلِّ ستِّ ليالٍ"[٤٨١].
- "عن ابن شَوذب، قال: كان عروةُ يقرأ ربع القرآن كُلَّ يوم في المصحف نظراً، ويقوم به الليل، فما تركه إلا ليلةَ قُطعت رجله، وكان وَقَع فيها الآكِلَةُ فنُشِرَت، وكان إذا كان أيَّام الرُّطَب يَثلِمُ حائطَهُ، ثم يأذنُ للناس فيه؛ فيدخلون يأكلون ويَحْمِلُون"[٤٨٢].
- "قال سلام بن أبي مطيع: كان قتادة يختِمُ القرآن في سبع، وإذا جاء رمضان ختم في كل ثلاث، فإذا جاء العشر ختم كُلَّ ليلة"[٤٨٣].
- "ونقل الذهبي في ترجمة بشر بن منصور الزاهد: "قال ابن المديني: حفر قبره، وختم فيه القرآن، وكان وِرْدُه ثلث القرآن"[٤٨٤].
- "وقد رُوي من وجوه متعددة، أن أبا بكر بن عياش مكث نحواً من أربعين سنة يختم القرآن في كلِّ يوم وليلة مَرةً.

وهذه عبادةٌ يُخضَع لها، ولكن متابعةُ السنة أولى. فقد صَحَّ أن النبي ﷺ نَهى عبد الله بن عمرو أن يقرأ القرآنَ في أقلّ من ثلاث، وقال عليه

(٤٧٩) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٤٢٧.
(٤٨٠) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٥٠٣.
(٤٨١) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٣٢٩.
(٤٨٢) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٤١٤.
(٤٨٣) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٤٩٠.
(٤٨٤) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٦٥٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

السلام: (لم يَفْقَهْ من قَرَأَ القُرآنَ في أقلّ من ثلاثٍ).

- قال أبو العباس بن مَسْروق: حدثنا يحيى الحمَّاني، قال: لما حَضَرَتْ أبا بكر الوفاة، بكت أخته، فقال لها: ما يُبكيك؟ انظري إلى تلك الزاوية، فقد ختم أخوك فيها ثمانية عشر ألف ختمة"(٤٨٥).
- "وقال إبراهيمُ بنُ هاشم: ما قال لنا جريرُ قطُّ ببغداد: حدثنا، ولا في كلمة واحدة، فقلت: تُراه لا يغلَط مرَّةً، فكان ربَّما نَعَس، فنام، ثم يَنتَبِهُ فيقرأ من الموضع الذي انتهى إليه"(٤٨٦).
- "وعن المأمون أنه تلا في رمضان ثلاثاً وثلاثين ختمة"(٤٨٧).
- وذكر الذهبي في ترجمة زهير بن محمد بن قمير: "وحدثني ولده محمد بن زهير، قال: كان أبي يَجمعُنا في وقت خَتمه للقرآن في شهر رمضان في كلِّ يومٍ وليلة ثلاثَ مرات يختمُ تسعين خَتمةً في رمضان.

مات رحمه الله في آخر سنة سبعٍ وخمسين ومائتين.

قلتُ: ماتَ عن بضعٍ وسبعين سنة.

يا حَبَّذا مَرْوُ ومَا أخرجتْ ★ من سادةٍ في العلمِ والدِّين"(٤٨٨).

- "مُسبِّح بنُ سعيد قال: كان محمدُ بن إسماعيل يختمُ في رمضان في النهار كُلَّ يومٍ خَتمة ويقومُ بعد التراويح كل ثلاث ليالٍ بخَتْمَة"(٤٨٩).
- وابن عطاء، أبو العباس، أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الآدمي البغدادي، "كان له في كل يوم خَتمة، وفي رمضان تسعون ختمة، وبقي في ختمة مُفردةٍ بضعَ عشرةَ سنة يتفهم ويتدبر"(٤٩٠).

(٤٨٥) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٦٧٥. في ترجمة أبي بكر بن عياش.
(٤٨٦) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٦٨٣.
(٤٨٧) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٧٦٤.
(٤٨٨) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٨٩٥.
(٤٨٩) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٩٠٣.
(٤٩٠) تهذيب سير أعلام النبلاء، ١٠٣٧.

- "يقال: ختم الكتانيُّ في الطواف اثني عشر ألف ختمة، وكان من الأولياء، توفي سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة"(٤٩١).
- "قال أبو عبد الرحمن السُّلمي: سمِعْتُ الدارقطني، سمعت أبا إسحاق إبراهيم بنَ محمد النَسْوي المعدّل بمصر، يقول: سمعت أبا بكر بن الحدَّاد، يقول: أخَذْتُ نفسي بما رواه الربيع عن الشافعي، أنَّه كان يختِم في رمضان ستين خَتْمَةً، سوى ما يقرأ في الصلاة، فأكثر ما قدرت عليه تسعاً وخمسين ختمة. وأتَيْت في غير رمضان بثلاثين خَتْمة!
- قال: ومات وصُلِّي عليه يوم الأربعاء، ودفن بسفح المُقَطَّمِ عند قَبْرِ والدَته، وحضر جنازتَه الملكُ أبو القاسم بن الإخْشيذ، وأبو المسك كافور، والأعيانُ، وكان نسيج وحدِه في حفْظ القرآن واللُّغة، والتَّوسُّع في علْم الفقْه، وكانت له حَلْقةٌ من سنين كثيرة يَغْشاها المسلمون، وكان جِدّاً كلُّه، رحمه الله، فما خلَّف بمصر بعده مثله!

وفي ابن الحَدَّاد، يقول أحمد بن محمد الكحَّال:

الشافعيَّ تفقهاً والأصمعيَّ ★ تفنُّناً والتَّابعين تزهُّدا"(٤٩٢).

- "قال الحافظ ابنُ عساكر: سمعتُ الحسينَ بن محمد يحكي عن ابن خيرون أو غيره، أن الخطيبَ ذكر أنه لما حج شرِب من ماء زمزم ثلاثَ شَرْبات، وسأل الله ثلاثَ حاجات، أن يُحَدّثَ بـ"تاريخ بغداد" بها، وأن يُملِيَ الحديثَ بجامع المنصور، وأن يُدْفَنَ عند بشر الحافي، فقُضِيتْ له الثلاث"(٤٩٣).

(٤٩١) تهذيب سير أعلام النبلاء، ١٠٥٩.

(٤٩٢) تهذيب سير أعلام النبلاء، ١١٣٣.

(٤٩٣) تهذيب سير أعلام النبلاء، ١٢٨٩.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ب- القرآنُ شَرفٌ ونعْمة:

«عن أبي عبد الرحمن (هو السلمي)، عن عثمان بن عفان، أن النبي ﷺ قال: (خيرُكُمْ من تَعلَّم القرآنَ وعلَّمه)»(٤٩٤).

ج- يرفع الله به أقواماً ويضع آخرين:

- عن عمر بن الخطاب: «قال: أَمَا إنّ نبيّكم ﷺ قال: إنّ هذا القرآن يرفع اللّه به أقواماً، ويَضَعُ به آخرين»(٤٩٥).
- «ويروى عن عُمر بن الخطاب أنه قال: ابن أبزى(٤٩٦) ممن رَفَعه الله بالقرآن»(٤٩٧).
- «عن الضحاك، قال: حقٌّ على كل من تعلّم القرآن أن يكون فقيهاً.. وتلا قول الله: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾»(٤٩٨).

د- في ختْمِهِ وتدبُّرِهِ:

- «عن الحَسن، قال: يا ابن آدم، واللّه إن قرأتَ القرآن ثم آمنتَ به ليطولنّ في الدنيا حُزنُك، وليَشْتدّنّ في الدنيا خوفُك، ولَيَكْثرَنّ في الدنيا بكاؤك»!(٤٩٩).
- قال الإمام الذهبي في ترجمة ابن عطاء: (هو أبو العباس، أحمد بن

(٤٩٤) تهذيب سير أعلام النبلاء: ٣٨٣. والحديث عند البخاري، ٥٠٢٧، فضائل القرآن.
(٤٩٥) تهذيب سير أعلام النبلاء: ٢٥٣.
(٤٩٦) هو: عبد الرحمن بن أبزى الخزاعي، ﷺ.
(٤٩٧) تهذيب سير أعلام النبلاء: ٢٥٣.
(٤٩٨) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٤٥٥. والآية: ٧٩: آل عمران: ٣.
(٤٩٩) تهذيب سير أعلام النبلاء: ٤٤٨. في ترجمة الحسن البصري.

محمد بن سهل بن عطاء): «كان له في كل يومٍ ختمة، وفي رمضان تسعون ختمة، وبقي في ختمةٍ مفردةٍ بِضْعَ عشرةَ سنةً، يتفهّم ويتدبّر»[٥٠٠].

- قال الذهبي:

«وقد روي من وجوهٍ متعددة، أن أبا بكر بن عياش مكث نحواً من أربعين سنة يَخْتِمُ القرآن في كل يومٍ وليلةٍ مرة»[٥٠١].

فعلّق الإمام الذهبي على هذا بقوله:

«وهذه عبادةٌ يُخْضَع لها، ولكن متابعة السنّة أَوْلى. فقد صَحّ أن النبي ﷺ نهى عبد الله بن عمرو أن يقرأ القرآنَ في أقلّ من ثلاث. وقال عليه السلام: (لم يَفْقَهْ من قرأ القرآن في أقلَّ من ثلاثٍ)»[٥٠٢].

- «عن أبي العالية، قال: إن الله قضى على نفسه أنَّ من آمَنَ به هداه، وتصديقُ ذلك في كتاب الله: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾[٥٠٣]، ومن توكل عليه كَفَاه، وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾[٥٠٤]، ومن أقرضَهُ جازاه، وتصديقُ ذلك في كتاب الله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾[٥٠٥]، ومن استجار من عذابه أجاره وتصديق ذلك في كتاب الله: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾[٥٠٦]، والاعتصام: الثقة بالله، ومن دَعاه أجابهُ، وتصديقُ ذلك في كتاب الله: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ

(٥٠٠) تهذيب سير أعلام النبلاء: ١٠٣٧.

(٥٠١) تهذيب سير أعلام النبلاء: ٦٧٥.

(٥٠٢) تهذيب سير أعلام النبلاء: ٦٧٥. والحديث عند الترمذي، ٢٩٤٩، القراءات، وابن ماجة، ١٣٤٧، إقامة الصلاة، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

(٥٠٣) ١١: التغابن:٦٤.

(٥٠٤) ٣: الطلاق: ٦٥.

(٥٠٥) ٢٤٥: البقرة: ٢.

(٥٠٦) ١٠٣: آل عمران: ٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[٥٠٧]»[٥٠٨].

- «قال شعيب بن حرب، قال عمر بن ذر: يا أهلَ معاصي الله، لا تغترُّوا بطول حلم الله عنكم، واحذروا أَسَفَهُ؛ فإنه قال: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾»[٥٠٩].
- «قال إبراهيم بن بشار، حدثنا ابن عيينة قال: كان عمر بن ذر إذا قرأ: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[٥١٠]، قال: يا لكَ من يوم! ما أملأَ[٥١١] ذكرَك لقلوب الصادقين!»[٥١٢].
- «وقال إبراهيم بن الأشعث: ما رأيتُ أحداً كان اللهُ في صدره أعظمَ من الفضيل، كان إذا ذُكر الله، أو ذُكِرَ عنده، أو سَمِعَ القرآن، ظهر به من الخوف والحزن، وفاضت عيناه، وبكى حتى يرحمَه من يحضرُه، وكان دائمَ الحزن، شديدَ الفكرة، ما رأيتُ رجلاً يُريد الله بعلمه وعمله، وأخْذه وعطائه، ومنعه وبذله، وبُغضه وحبه، وخصاله كلّها، غيره. كنا إذا خرجنا معه في جِنازة لا يزال يَعِظُ، ويذكّر ويبكي كأنه مودِّعٌ أصحابه، ذاهبٌ إلى الآخرة، حتى يبلُغَ المقابر، فيجلس مكانه بين الموتى من الحزن والبكاء، حتى يقومَ وكأنَّه رجع من الآخرة يخبر عنها»[٥١٣].
- قال في ترجمة علي بن فُضيل بن عياض: «قال الخطيب: مات قبل أبيه بمدة من آية سمعها تُقرأ، فغُشي عليه، وتوفي في الحال»[٥١٤].

(٥٠٧) ١٨٦: البقرة: ٢.
(٥٠٨) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٣٦٨. في ترجمة أبي العالية.
(٥٠٩) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٥٤٨. في ترجمة عمر بن ذر. والآية: ٥٥: الزخرف: ٤٣.
(٥١٠) ٤: الفاتحة: ١.
(٥١١) في المطبوع: "ملأ" والصواب هو المثبت كما في الأصل "سير أعلام النبلاء"، ٣٨٨/٦، وكذا في حلية الأولياء، ١١٠/٥ وغيرهما.
(٥١٢) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٥٤٨.
(٥١٣) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٦٦١.
(٥١٤) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٦٦٨.

- «قال إبراهيم بن الحارث العُبّاري: حدثنا عبدُ الرحمن بن عفان، حدثنا أبو بكر بن عيَّاش قال: صلَّيت خلف فُضيل بن عياض المغربَ وابنهُ عليّ إلى جانبي، فقرأ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾[٥١٥]، فلما قال: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ﴾ سقط عليٌّ على وجهه مَغْشِيّاً عليه»[٥١٦].
- «عن محمد بن ناجية قال: صلَّيت خلف الفضيل، فقرأ: ﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾ في الصبح. فلما بلغ إلى قوله: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ﴾[٥١٧] غلبه البكاءُ فسقط ابنه عليٌّ مغشياً عليه»[٥١٨].
- ونقل الذهبي في ترجمة يحيى بن سعيد القطان: «وقال عليّ بن المديني: كنَّا عند يحيى بن سعيد، فقرأ رجلٌ سورة الدُّخان، فصعِقَ يحيى، وغُشِيَ عليه»[٥١٩].
- وقال في ترجمة عبد الله بن وهبٍ: «قال أحمد بن سعيد الهَمَذاني: دخل ابنُ وهبٍ الحمَّام، فسمع قارئاً يقرأُ: ﴿وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ﴾[٥٢٠]، فغشي عليه»[٥٢١].
- وقال في ترجمة صالح الْمُرِّي: «ويقال: مات جماعةٌ سمعوا قراءته»[٥٢٢].
- «عليُّ بن محمد المصري، سمعت أبا سعيد الخرَّاز، سمعتُ إبراهيم ابن بشار يقول: الآية التي مات فيها علي بن الفضيل، في الأنعام: ﴿وَلَوْ

(٥١٥) ١: التكاثر: ١٠٢.
(٥١٦) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٦٦٨.
(٥١٧) ٣٠: الحاقة: ٦٩.
(٥١٨) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٦٦٨.
(٥١٩) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٧٠٣.
(٥٢٠) ٤٧: غافر: ٤٠.
(٥٢١) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٧٠٧.
(٥٢٢) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٦١٣.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿تَرَىٰٓ إِذۡ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ﴾[٥٢٣]، مع هذا الموضع مات، وكنت فيمن صلّى عليه، رحمهُ اللّه))[٥٢٤].

- ((وعن الأعمش، يقول: حدثني يحيى بن وثاب، وكُنتُ إذا رأيته قد جثا، قلتُ هذا وُقف للحساب، فيقول: أَيْ ربِّ، أذنبتُ كذا، فعفوتَ عني، فلا أعود، وأذنبتُ كذا، فعفوتَ عني، فلا أعود))[٥٢٥]. وهذا نتيجة اليقين في التعامل مع آيات كتاب اللّه تعالى، واستشعار خطورة الموقف، وعِظَم المعنى! وما من شكٍّ أنّ هذا له أثره البالغ في عملية التدبر للنص الإلهي، ونُضْج هذا التدبر.

والفرق كبير بين قراءةٍ بهذا النهج، وقراءة الساهي اللاهي، أو الغافل، التي لا تَعْمَل عملَها في قارئها، ولا في سامعها!

وبمثل هذا يتبين أَثرُ القارئ في القراءة، وكذلك أثرُ القراءة في القارئ!

وحين يتوافر هذا اليقين لقارئ كتاب اللّه؛ سيغتبط، ويُغبَطُ، بقراءته لكتاب اللّه تعالى، ويُدْرك القارئ، حينئذٍ، أن هذا الذي يقرأه، هو أجملُ نصٍّ، وأرقى نصٍّ يُمْكِن أنْ يقرأه في الحياة، ويقضي فيه حياته، أو يحفظها به!

ملحوظَةٌ منهجيَّةٌ:

ينبغي التَنَبُّه إلى أنَّه ليس الصوابُ هو مُجرَّد جمْعِ الروايات عن السلَف في هذا الباب أو سِواهُ، مع الغَفْلَة عن تَبَيُّن المنهجية السديدة في الأخذ عنهم، وفقْه الروايات عنهم، والتثبُّت فيها روايةً ورأْياً، بعيداً عن التقليد والظاهرية.

(٥٢٣) ٢٧: الأنعام: ٦.

(٥٢٤) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٦٦٩.

(٥٢٥) تهذيب سير أعلام النبلاء، ٤٠٢. في ترجمة يحيى بن وثّاب.

المبحث التاسع

التعامل الإلكتروني مع القرآن

سأتناول هذا الموضوع في لفتتين:

الأُولى: الطريقة المثلى لإحصاء الألفاظ والمعاني في القرآن الكريم حاسوبيّاً والتنبيه على أخطاء قد يَقع فيها الباحث.

الثانية: التنبيه على أخطاء في برنامج مؤسسة حرف الإلكتروني للمصحف الشريف، الإصدار الأول منه.

اللفتة الأولى

الطريقة المثلى لإحصاء الألفاظ والمعاني في القرآن الكريم حاسوبيّاً

أذكرُ هنا تنبيهات حول طريقة إحصاء الألفاظ والمعاني الواردة في القرآن الكريم حاسوبياً؛ كي لا يقع في الخطأ مَن يتوجه إلى ذلك:

ينبغي لمن يتوجه إلى إحصاء أمرٍ: كم مرةً ورد في القرآن الكريم؟ أن يتنبه إلى بعض الملحوظات؛ كي لا يقع في خطأٍ في إحصائه، وبالتالي فيما يبنيه عليه مِن استنتاج. ومِن ذلك:

- التنبه إلى أن المعنى قد يَرِد بعدة ألفاظ؛ فيترتب على هذا أن بعض الناس يقف على الوارد بلفظةٍ واحدة، وينسى الوارد فيه ببقية الألفاظ؛ فيظن أنه حَصَر مراتِ وروده في القرآن كله، والحقيقة أنه لم يَفعل. ومِن الأمثلة على هذا لو كان البحث عن: كم وَرَد ذِكْر الجنة؟ وكم وَرَد ذكْر النار؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- قد يَذهب شخصٌ إلى البحث في إحدى موسوعات القرآن الكريم المعمولة على أقراص الليزر أو في برامج القرآن الكريم الحاسوبية - وهي من أفضل الوسائل للبحث في القرآن-فيبحث عن لفظة: (الجَنَّة)، وهنا تختلف النتيجة بحسب البرنامج الذي تستخدمه؛ إذ بعض البرامج، أو خياراتك في استخدامك لها، قد لا يورِد لك في هذه الحال إلا النتائج المطابقة؛ فلا يأتيك في هذه الحال إلا بمواضع هذه اللفظة في المصحف بدون نقص أو زيادةٍ في الحروف، فلا يُعطيك لفظة: (جنة)، بدون الألف واللام، وبعض البرامج، أو بعض اختياراتك في استخدامه، يُعطيك في هذه الحال كلاً من اللفظتين: (الجنة، وجنة)؛ فيتعين عليك حينئذٍ أن تعرف خصائص البرنامج، الذي تبحث عن طريقه؛ وإلا أَتيت بنتائج غير صحيحة.
- فمن الأخطاء هنا: أن تبحث في برنامج ينتهج النتائج المطابقة؛ فتأخذ النتيجة، وتقول بناءً على ذلك: لم يرِد لفظ: (الجنة) في القرآن إلا كذا مرةً، وتنسى البحث، أيضاً، عن اللفظة نفسها بدون الألف واللام، وهكذا الحال بالنسبة لعكس ذلك، أيضاً.
- ومن الأخطاء هنا، أيضاً، إذا تجاوزتَ هذا الخطأ: أن تقع في خطأ آخَر، وهو: عدم التنبه إلى أنه بمثل هذا البحث يدخل في النتائج كلُّ كلمةٍ في صورة هذه الكلمة المبحوث عنها، بغضّ النظر عن كون النتيجة ربما كانت عدةَ كلمات متفقة في الصورة مختلفة في حركات ضبطها؛ فيكون عدد التكرار في النتائج أكثر من الواقع.

- فمثلاً لو بحثتَ عن لفظة: (جنة) وأنت قاصدٌ البحث عن (جَنَّة - مفتوحة الجيم-)؛ فستكون النتائج ليست كلها داخلةً فيما تريد، وإنما يدخل فيها، أيضاً، الآتي:
- لفظ: (جَنَّة، أو جَنَّات) بمعنى آخر، وإنْ شئتَ قل: بلفظ آخر في الحقيقة، لا ينطبق على ما تريد حصره؛ كأن تقصد حصر لفظة (جَنَّة، أو جَنَّات) بمعنى ما يقابل (النَّار) في يوم القيامة؛ فيدخل في النتائج (جَنَّة، أو جَنَّات) بمعنى: بستان، أو روضة، أو روضات.

- كما يَدخلُ في النتائج أيضاً (الجنّة).
- ويَدخل في النتائج أيضاً (جُنَّة) مما هو ليس مرادك ذاك الذي بحثتَ عنه.

• ومِن الأمثلة كذلك: لو كان البحث عن: كم وَرَد ذكْر النار في القرآن الكريم؟ فإنّ نتائج البحث قد تكون خادعةً لك لو غَفلتَ عن البحث عن (النار) كم وردتْ في القرآن الكريم بكلٍّ مِن اللفظ والمعنى؛ فلو اقتصرتَ على البحث عن ورودها بلفظ (النار، أو نار)، ولم تنظر: كم وردتْ بالألفاظ الأخرى الدالة عليها، مثل لفظ: (جهنم)، (الجحيم) ...إلخ. وهذا مثالٌ فعليك أن تراعي تطبيقه على أيّ بحثٍ عن شيءٍ ما سِوى (النار).

• ومثله: أن تبحث في حصر لفظ الجلالة: (رب)، فتُدْخِلُ في ذلك - دون أنْ تَشعُر- كلّ كلمة (رب) حتى التي ليست بهذا المعنى، مثل قوله تعالى على لسانِ يوسف عليه السلام: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾(٥٢٦). وهكذا، وما أكثرَ الأمثلة، التي أرجو ألاّ تَخفى على الباحث في ألفاظ القرآن ومعانيه.

إنّ هذا المنهج، ينبغي أن يُتنبَّهَ له، ويُدرَّس للدارسين في تخصص الدراسات القرآنية والإسلامية، ويُدرَّبوا عليه؛ كي يَسِيروا على منهجٍ سديدٍ في منهج فقههم لكتاب الله تعالى وحديث رسول الله ﷺ.

(٥٢٦) ٢٣: يوسف: ١٢.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اللفتة الثانية

التنبيه على أخطاء في برنامج مؤسسة حرف الإلكتروني للمصحف الشريف

للبرمجة الإلكترونية أهميةٌ بالغةٌ في البحث والدرس للقرآن الكريم، وكذلك في درْس الحديث النبوي والبحث فيه؛ وذلك للسرعة والدقة، التي تُلبّيها البرمجة الإلكترونية.

- ولكن، مِن المهم التأكد مِن دقة البرنامج الإلكتروني، مِن حيث أصل البرنامج، ومِن جهة النُّسخة التي يَعمل عليها الباحث على حاسوبه؛ بحيث لا يكون قد طرأَ عليها خللٌ ما، أو ما قد يكون مِن تغييرٍ فيها بسبب اختلاف إصدارات البرنامج. أو البرامج.
- ومِن البرامج الإلكترونية القرآنية المهمة: برنامج "القرآن الكريم" إصدار مؤسسة حرف (الإصدار الأول، ثم ما تلاه مِن الإصدارات)؛ لميزاته الكثيرة: فهو خفيف، ودقيقٌ إلى حدٍّ بعيد-مع أهمية التنبه لملحوظات سأذكرها قريباً- وهو برنامجٌ بحثيٌّ، يَخدم أغراض البحث الإلكتروني، وتتوافر فيه خدمة القَصِّ واللصق (أي: خدمة نَقْل الآية أو الآيات إلى ملفك).
- ولا يكاد يَسْلمُ برنامج حاسوبيٌّ في هذا المجال مِن ملحوظات: إما في جانب الرسم الإملائيّ، أو الخدمات البحثية، أو سِوى ذلك.
- وبرنامج مؤسسة حرف هذا -على الرغم مِن استفادتي منه، سنواتٍ عديدة، وتوفيره الأوقات والجهود في البحث- إلا أنّ عليه عدداً مِن

الملحوظات.

- والمهم مِن هذه الملحوظات -بحسب اطّلاعي- أمرٌ واحدٌ، يتفرّع إلى أمرين. وهو حصول بعض التغيير في نقل بعض الآيات مِن الصواب إلى الخطأ، أي: أنك ترى الآية عند استعراضها في البرنامج صحيحة، لكنك إذا نقلتها منه إلى الملف يتغير في الآية بعض الكلمات إلى كلمةٍ أُخرى خطأ!
- وهذا الموضوع يحتاج إلى تتبّعٍ دقيق للبرنامج، **لكن**، الذي ظهر لي مِن هذا ثلاثة أمور:

الأول: حصول هذا الخطأ في نقل قوله تعالى: ﴿لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾؛ فإنها ينقلها البرنامج مغيَّرةً إلى: ﴿لَتَرَوْنَ الْجَحِيمَ﴾!.

الثاني: أيُّ آيةٍ فيها عبارة ﴿أَلَمْ تَرَ﴾؛ فإنّ البرنامج يُحرِّفها عند نقلها إلى الملف إلى: ﴿**أَلَمْ ترى**﴾ في جميع المواضع مِن القرآن إلا ما جاء مِن هذا في آيات سورة البقرة، وما جاء في سورة النساء، بحسب تتبعي لها في البرنامج كله، وبَلَغ مجموع تلك المواضع التي طرأ عليها هذا الخطأ نحو ٢٣ موضعاً! فعلى مَن يأخذ هذه الآيات منه أن يتنبّه لهذا الخطأ ويُصلْحه.

- وهذا شيء خطير، ولحنٌ في نقل آياتِ اللّه تعالى، يجب التنبه له، والتنبيه عليه! ولعل الإخوة الفضلاء القائمين على إصدار البرنامج يتنبهون إليه فيُصلْحونه. وأنا على ثقةٍ بأنّ هذا التنبيه على هذا الخطأ سيصبح، بعد وقتٍ وجيز، كلاماً عن خطأٍ قد زال، وصُحِّح، بإذنه تعالى.
- وعلى الباحث والمعتَمِد على هذا البرنامج في النقل مِن المصحف الشريف أن يراجع ما ينقله عن البرنامج بصفةٍ عامّة، ويُراجع هذه المواطِن بصفةٍ خاصّة، فيقابلها على المصحف الشريف.

الثالث: ما يَحْصُلُ في البرنامج من خَلَلٍ عند لصق الآية (٢٤) من

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سورة الحشر:

وذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤﴾.

إذْ تتحول بعد لصقها في الملف إلى:

﴿هُوَ اللهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.(٢٤)﴾، فيُلاحَظ أن الخلل الذي طرأ على نقل الآية في آخرها، وهو زيادة سكون على الميم من آخر كلمة: "الْحَكِيمُ بْ(٢٤)"، وزيادة حرف "بِ" بعدها!

فيجب التَنَبُّهُ لهذا، والتنبيه عليه.

والحمد لله رب العالمين.

أمثلةٌ مَفْتُوحَةٌ وواجباتٌ للتطبيق

دعوةٌ لتأمُّلِ سِرِّ تعبيرٍ في القرآن الكريم:

١- الآية ١٣١ و١٣٢ من سورة النساء، كُرِّر فيهما أنّ ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾، ثلاث مرات!. قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا ﴿١٣١﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٣٢﴾﴾[٥٢٧]؛ ينبغي الوقوف عندها، وتأمُّل السرّ فيها، فإنّ الله تعالى إنما اختار هذا الأسلوب لحكَمٍ وأسرارٍ، فعلى عباد الله المتدبرين لكتابه الكريم ملاحظةُ ذلك. وبإمكانك أنْ تتولى هذا تطبيقاً لِما قرأته في الكتاب، مراعياً المنهج الذي قرّره.

٢- ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾﴾. المائدة يُتدبر سرّ هذا التركيب، وبإمكانك أنْ تتولى هذا تطبيقاً لِما قرأته في الكتاب، مراعياً المنهج الذي قرّره.

٣- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾. آل عمران. يُوقَف عند هذه العقوبة على هذا الذنب العظيم، ويُكتب عنه، وبإمكانك أنْ تتولى هذا تطبيقاً لِما قرأته في الكتاب، مراعياً المنهج الذي قرّره.

---

(٥٢٧) ١٣١-١٣٢: النساء: ٤.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤- قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾. النساء.

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ * وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾. النساء. يُكتب عن هذا المعنى الذي اشتملت عليه الآيات؛ حيث جعلت المستضعفين في مقام المؤاخَذة، وفي مكانِ مَن يُلتمس له العذر والمغفرة؛ لأنه ليس للمسلم أن يكون في مقام الخنوع والذلة، ولا مقام المستضعَف...!. فيُمكن تدبُّر هذه المعاني في القرآن الكريم، وبإمكانك أنْ تتولى هذا تطبيقاً لِما قرأته في الكتاب، مراعياً المنهج الذي قرّره.

٥- حصر لفظ: (كسب، أو كسبت)، واكتسب أو اكتسبت)، والنظر في دلالتها.

٦- عبارة: (يعلم ما يسرون وما يعلنون)، وما في معناها، يُمْكن تتبعها في القرآن، وتضمين نتائجها الإحصائية؛ لاستخلاص أهميّة موضوع الإخلاص، وبإمكانك أنْ تتولى هذا تطبيقاً لِما قرأتَهُ في الكتاب، مراعياً المنهج الذي قرّره.

٧- أن هذا القرآن حقٌّ، فينبغي قراءته على هذا المعنى وبهذا اليقين. اجْمع الآيات في هذا المعنى، واستخْلص النتائج والهدايات فيه تطبيقاً لِما قرأتَهُ في الكتاب، مراعياً المنهج الذي قرّره.

٨- محاسبة النفس على أوامر القرآن، مثل: وجَل القلوب من ذكر الله،

...وسائر المعاني في هذا الباب، بإمكانك أنْ تتولى هذا تطبيقاً لِما قرأتَهُ في الكتاب، مراعياً المنهج الذي قرّره.

٩- تَتبَّع العقود المحكية في القرآن، واحصر الآيات فيها، واستخلصْ منها الهدايات التي أشارتْ إليها.

١٠- ادْرسْ أسلوب ﴿أُنزِلَ إِلَيْكُمْ﴾ و﴿أَنزَلَ عَلَيْكُمْ﴾ و﴿نَزَّلَ عَلَيْكُمْ﴾ وأمثالها في القرآن الكريم، واستخلصْ منها الفوارق والأحكام والحِكم، مراعياً المنهجية التي دعاك لها هذا الكتاب.

١١- حصْرُ الآيات في الغفلة والغافلين، بمُراعاة كُلٍّ مِن اللفظ والمعنى، واستقراء دلالاتها وهداياتها.

- **مُقْتَرَحاتٌ:**

ينبغي عمل تفسيرٍ مختصرٍ للكتاب العزيز، يراعى فيه الآتي:

-العناية بتفسير الكلمات.

-تفسير الأساليب التي تحتاج إلى تفسير.

-مراعاة البعد عن الظاهرية في تفسير الآيات.

-مراعاة مرجع الضمير عند تفسير الكلام.

-البعد عن المآخذ التي تؤخذ على كتب التفسير.

ينبغي تتبُّع القرآن لحصْر ما فيه من تفسيرٍ للقرآن بالقرآن:

-مشروع تتبع القرآن الكريم؛ لحصْر ما في القرآن من تفسير للقرآن بالقرآن بصورةٍ صريحة أو شبه صريحة، وإخراجها في كتاب؛ ليكون مِن مراجع تفسير القرآن، على أن يكون وَفْق منهجٍ سديد منذ البداية، ويُستفادُ من الجهود السابقة في هذا الباب.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الخاتمة

الحمد لله، الذي بنعمته تتم الصالحات، وأسأله تعالى القبول، والعفو عن الزلات، وأن يبارك فيما مضى في هذه الصفحات، من التأمل في موضوع "تدبر القرآن الكريم"، والوقوف عند بعض المعاني والضوابط للتدبر المطلوب للكتاب العزيز.

وإني لأرجو الله تعالى أن ينفعني وينفع عباده بهذا الجهد، وأن يجعله من خالص الأعمال الصالحة في صحائفنا، إنه سبحانه أكرم الأكرمين.

ولعل من المهم أن أُشير إلى أن ما ورد في هذا الكتاب ليس معصوماً من الزلل والخطأ، ولكنه محاولةٌ في ضوء منهجٍ؛ فإن أصاب التطبيقُ، وإلا فالمتعين هو الأخذ بأصل المنهج؛ ذلك أنّ التدبر للكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، قد يُصيب صاحبُهُ، وقد يُخْطئ؛ فليس لنا الحق في الخلط بين الوحي الإلهي، وبين محاولات البشر في تفسيره، واستخراج لطائفه وفوائده!

وحسبي أني اجتهدت أن يكون الكلام واضحاً، وألا يكون بغير علْم، وأني حاولت نقْل رؤيةٍ وتجربة في منهج التدبر والتأمل لكتاب الله تعالى؛ بهدف الدلالة على الطريق للحياة بالقرآن، والحياة في ضوء القرآن ونوره، وفي أفيائه وهداياته الواسعة.

وربنا سبحانه هو أكرم الأكرمين؛ لا يخيب مَن رجاه، ولا يَضلُّ مَن سلك سبيله للوصول إليه، وإلى مرضاته، ومَن اجتهد في أن يستضئ بوحيه عزّ وجلّ.

والمرجوّ مِن القارئ الكريم أن يُهْدي لكاتب هذه السطور ما قد يَظهر له مِن أخطاء، أو ملحوظات، واللّه يَجزيه خير الجزاء.

والحمد للّه أوّلاً وآخِراً، وظاهراً وباطناً، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين.

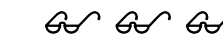

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهرس المصادر

- استخراج الآيات والأحاديث في البحوث العلمية: طُرقه - وسائله: عن طريق الكتب وعن طريق الحاسوب، د.عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، الرياض، ط. الأولى ١٤٢٥هـ.
- تفسير الطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر، مراجعة وتخريج: أحمد محمد شاكر، مصر، دار المعارف، ط. الثانية، بدون تاريخ.
- تفسير القرآن العظيم، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، بيروت، دار المعرفة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م.
- حلية الأولياء، لأبي نعيم، بيروت، دار الكتب العلمية.
- زبدة التفسير من فتح القدير، محمد سليمان عبدالله الأشقر، الكويت، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ط.الثانية، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.
- سنن ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، عمان، بيت الأفكار الدولية، بدون ط.، وبدون ت.
- سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، عمان، بيت الأفكار الدولية، بدون ط.، وبدون ت.
- سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرَة الترمذي، عمان، بيت الأفكار الدولية، بدون ط.، وبدون ت.
- سنن النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، عمان، بيت الأفكار الدولية، بدون ط.، وبدون ت.
- صحيح البخاري، (نسخة فتح الباري)، القاهرة، المكتبة السلفية

ومكتبتها، ١٣٨٠هـ.
- صحيح سنن أبي داود، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، (ضِمْنَ سنن أبي داود، ط. بيت الأفكار الدولية).
- صحيح سنن الترمذي، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني،(ضِمْنَ سنن أبي داود، ط. بيت الأفكار الدولية).
- صحيح سنن النسائي، محمد ناصر الدين الألباني،(ضِمْنَ سنن أبي داود، ط. بيت الأفكار الدولية).
- صحيح مسلم، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط.الأولى، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.
- غريب القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري - ٢٧٦هـ، تحقيق أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.
- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر، القاهرة، المطبعة السلفية ومكتبتها، ١٣٨٠هـ/ ١٣٩٠هـ.
- الفوائد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، -٧٥١هـ، بيروت، دار الكتب العلمية، ط. الثانية، ١٣٩٣ هـ/١٩٧٣م.
- مجموع الفتاوى، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.
- مختصر تفسير المنار، السيد محمد رشيد رضا، بيروت، المكتب الإسلامي، ط. الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.
- مدخل لدراسة مشكل الآثار: مقاييسُ لصحة تفسير النصوص،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأنواع استشكال النصوص وأسبابه"، عبد الله بن ضيف الله الرحيلي، الرياض، ط. الأولى، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

- المسند، الإمام أحمد بن حنبل، بيروت، الرسالة، ط. الأولى، ١٤١٩هـ/١٤٢١هـ.
- معالم التنْزيل، للبغوي، تحقيق وتخريج: محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط. الرابعة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
- المعجم المفهرس لمعاني القرآن العظيم، لمحمد بسام رشدي الزين، دمشق، دار الفكر، ط. الثانية، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- مقدمة في أصول التفسير، للإمام ابن تيمية، تحقيق د.عدنان زرزور، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط. الثانية، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.
- المنظومة الميمية في وصية طالب العلم، لحافظ حكمي، ضمن مجموعٍ له، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، بدون ط. وبدون ت.
- نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء، محمد حسن عقيل موسى، جدة، دار الأندلس، ط. الثانية، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهرس المحتويات

لا يَشْغَلْك!! .....
مقدمة الطبعة الثانية ٥
المقدمة ٧
التمهيد ٩
المبحث الأول: كلمات عن القرآن ١١
الوقفة الأُولى: دواعي تدبر القرآن ١٢
الوقفة الثانية: دواعي تدبر القرآن أيضاً ١٤
الوقفة الثالثة: دواعي تدبر القرآن أيضاً ١٧
الوقفة الرابعة: نحن والقرآن الكريم! ٢١
الوقفة الخامسة: القرآن خطاب الله إلى الإنسان فهل نستجيب؟! ٢٤
الوقفة السادسة: إذا قرأت القرآن فاقرأ المعانيَ كما تقرأ الألفاظ! ٢٧
الوقفة السابعة: وقال ربكم ادعوني أستجبْ لكم!! ٣٣
الوقفة الثامنة: يا قارئ القرآن! ٣٨
الوقفة التاسعة: تَذكُّرُ أَمْرِ اللهِ بِتِلاوَةِ القُرْآنِ الْكَرِيْمِ ٤٠
الوقفة العاشرة: أدبُ الرحمن في مخاطبة الإنسان ٤٣
المبحث الثاني: لَفَتاتٌ في طُرُقِ تدبّر القرآن ووسائله ٥١
اللفتة الأولى: أمورٌ أساسية يتوقف عليها تدبّر القرآن ٥١
اللفتة الثانية: تجربةٌ في قراءة القرآن وتدبُّره ٥٢
اللفتة الثالثة: خطوات تدبّر القرآن والعمل به ٥٤
اللفتة الرابعة: أسباب فهم القرآن وطُرُق تدبّره تدبراً سليماً ٥٦

اللفتة الخامسة: مِن طُرُق التدبر، أيضاً..... ٦١
اللفتة السادسة: من أسباب استشكال النص..... ٦٥
اللفتة السابعة: طريقة قراءة النبي ﷺ للقرآن..... ٦٦
اللفتة الثامنة: أمثلة للوقف المهم..... ٦٩
اللفتة التاسعة: لا تتلقَّ أخبار القرآن بصفتها أخباراً فقط..... ٧٥
اللفتة العاشرة: ألفاظٌ قرآنيةٌ تحتاج إلى تدبر..... ٧٦
اللفتة الحادية عشرة: لفتاتٌ في آيات ٧٨
اللفتة الثانية عشرة: الأمرُ بتزيين القرآن بالأصوات ٨١
اللفتة الثالثة عشرة: تدبُّرُ الكتاب العزيز وَفْقَ اللغة العربية..... ٨٢
اللفتة الرابعة عشرة: منهجيَّةٌ مهمَّةٌ في تَدَبُّر الكتاب العزيز..... ٨٣
المبحث الثالث: قواعد التدبر..... ٨٥
القاعدة الأولى: ملاحظة المعاني المركبّة والمعاني المفردة معاً ٨٥
القاعدة الثانية: التدبر العامّ والتدبر الجزئيّ..... ٨٨
القاعدة الثالثة: الأمانة والإيمان قبْل القرآن..... ٩٠
القاعدة الرابعة: العناية بالقَدْر المشترك بين أحكام القرآن ٩٢
القاعدة الخامسة: اشتراطُ فهْمِ النصّ مِن النصّ..... ٩٤
القاعدة السادسة: النظر إلى سياق الآية: سِباقها ولِحاقها ٩٥
- ومن الأمثلة على تطبيق هذا المنهج:..... ٩٥
- ومن الأمثلة على تطبيق هذا المنهج:..... ٩٦
القاعدة السابعة: معرفة مرجع الضمير في النصوص..... ١٠٠
- ومن الأمثلة على هذا:..... ١٠٠
- ومن الأمثلة:..... ١٠٢
- ومن الأمثلة على هذا:..... ١٠٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

- ومن الأمثلة على هذا: ١٠٣
- ومثل الضمير في هذا أيضاً: ١٠٣
- ومن الأمثلة على هذا أيضاً: ١٠٤
- ومن الأمثلة على هذا: ١٠٤
- ومن الأمثلة كذلك: ١٠٥

القاعدة الثامنة: لا ترادفَ في أَلفاظ القرآن ١٠٦

القاعدة التاسعة: التنبّه إلى ما جاء مِن تفسير ألفاظ القرآن في القرآن نفسه ١٠٩

المبحث الرابع: لَفَتاتٌ في أساليب القرآن الكريم ١١٢

اللفتة الأولى: مِن أساليب البُشْرى في القرآن ١١٢

اللفتة الثانية: من مظاهر الدقة في القرآن ١١٤

اللفتة الثالثة: الإيمان والعمل الصالح ١١٦

اللفتة الرابعة: المقابلة بين المحسوس والمعنويّ ١١٧

اللفتة الخامسة: الإحكام في ترتيب الألفاظ ١١٩

اللفتة السادسة: الإعجاز في الإطلاق غير المقيَّد ١٢١

اللفتة السابعة: ألفاظٌ على غير ظاهرها ١٢٣

اللفتة الثامنة: استعمالاتٌ لم تَرِدْ في القرآن الكريم ١٢٥

تقديمُ النهار على الليل في الذِّكْرِ (النهار والليل): ١٢٥

تقديمُ البصر على السمع: ١٢٥

- حكايةُ قولِ امرأةٍ باسمها صريحاً: ١٢٧

اللفتة التاسعة: مِن روائع البيان في آيةٍ مِن كتاب الله ١٢٨

المبحث الخامس: وقفاتٌ عند آياتٍ ١٣٢

إبطال تكلّف العناية بنقد أعمال الآخرين ونسيان نفسِهِ: ١٣٢

تسبيح المخلوقات بحمده:..... ١٣٢
آيات الله في الآفاق وفي الأنفس:..... ١٣٣
دعوات استجابها الله تعالى:..... ١٣٣
الدعوة في القرآن إلى الاستقامة في الظاهر والباطن:..... ١٣٥
جاء شَرْعُهُ معجزاً كما أن خَلْقه معجزٌ !!: ١٣٧
الآيات شاهدة ببراءة يوسف عليه السلام: ١٣٨
في المنهج:..... ١٤٠
مِن منهج الكتاب العزيز :..... ١٤٢
في المحاجة والمجادلة:..... ١٤٦
المطالبة بالدليل: ١٤٦
في إبطال العناية بالظاهر فقط:..... ١٤٧
الظاهرية ليست دائماً صواباً: ١٤٧
مثال لأدلة عدْلِ اللّه سبحانه مع الظالمين: ١٤٨
هل كل خطأٍ في العقيدة يكون كفراً؟:..... ١٤٨
أسباب هداية الله: ١٤٩
الليل والنهار في القرآن: ١٥٠
وهاك الآيات في الليل والنهار :..... ١٥١
التذكير بالقيام بالواجب وعدمِ الانشغال بالآخرين:..... ١٥٢
وقفةٌ عند ظاهرة النهي عن التفريق بين رُسُلِ الله: ١٥٢
تَذَكَّـرْ !: ١٥٤
المبحث السادس: من حديث القرآن عن القرآن..... ١٥٦
في شأن كتاب الله تعالى:..... ١٥٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القرآن رسائل إلى المؤمنين من ربهم: ١٥٦
قاعدة في شرط الانتفاع بقراءة القرآن وسماعه: ١٥٧
في التذكير بالقرآن: ١٥٩
في القرآن: ١٦٠
عن القرآن: ١٦٠
حقيقة القرآن الكريم: ١٦١
وقفة: ١٦٤
وقْفة: ١٦٤
كتبٌ تتعلق بالقرآن: ١٦٥
لفتةٌ قرآنيّةٌ: ١٦٥
تأمَّلْ: ١٦٦
دقةُ القرآن وأغلاطُ قُرّائه: ١٦٦
القرآن كتابٌ للناس كافةً: ١٦٧
أمثلةٌ تطبيقيّة: ١٧٠
المثال الأول: ١٧٠
النَّصُّ القرآني: ١٧١
المثال الثاني: ١٧٢
المبحث السابع: مِن مواقف السلف تجاه القرآن ١٧٣
المبحث الثامن: أقوال عن القرآن وتدبره منقولة عن الإمام الذهبي ١٧٥
فَمِن هذه الأقوال: ١٧٥
أ-في قراءة القرآن: ١٧٥
ب-القرآنُ شَرفٌ ونعْمة: ١٨٧
ج-يرفع الله به أقواماً ويضع آخرين: ١٨٧

د-في ختْمِهِ وتدبُّرِهِ:..... ١٨٧
المبحث التاسع: التعامل الإلكتروني مع القرآن..... ١٩٢
اللفتة الأولى: الطريقة المثلى لإحصاء الألفاظ والمعاني في القرآن الكريم حاسوبيّاً..... ١٩٢
اللفتة الثانية: التنبيه على أخطاء في برنامج مؤسسة حرف الإلكتروني للمصحف الشريف..... ١٩٥
أمثلةٌ مَفْتُوحَةٌ وواجباتٌ للتطبيق..... ١٩٨
دعوةٌ لتأمُّلِ سِرّ تعبيرٍ في القرآن الكريم:..... ١٩٨
-مُقْتَرَحاتٌ:..... ٢٠٠
الخاتمة..... ٢٠١
فهرس المصادر..... ٢٠٣
فهرس المحتويات..... ٢٠٧
صَدَرَ للمؤلف..... ٢٢٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كُنَّاشة الفوائد المهمة

م	الفائدة	الصفحة	ملحوظات
١			
٢			
٣			
٤			
٥			
٦			
٧			
٨			
٩			
١٠			
١١			
١٢			
١٣			
١٤			
١٥			
١٦			
١٧			
١٨			
١٩			
٢٠			

كُنَّاشة الفوائد المهمة

م	الفائدة	الصفحة	ملحوظات
١			
٢			
٣			
٤			
٥			
٦			
٧			
٨			
٩			
١٠			
١١			
١٢			
١٣			
١٤			
١٥			
١٦			
١٧			
١٨			
١٩			
٢٠			

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كُنَّاشة الفوائد المهمة

م	الفائدة	الصفحة	ملحوظات
١			
٢			
٣			
٤			
٥			
٦			
٧			
٨			
٩			
١٠			
١١			
١٢			
١٣			
١٤			
١٥			
١٦			
١٧			
١٨			
١٩			
٢٠			

كُنَّاشة الفوائد المهمة

م	الفائدة	الصفحة	ملحوظات
١			
٢			
٣			
٤			
٥			
٦			
٧			
٨			
٩			
١٠			
١١			
١٢			
١٣			
١٤			
١٥			
١٦			
١٧			
١٨			
١٩			
٢٠			

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كُنَّاشة الفوائد المهمة

م	الفائدة	الصفحة	ملحوظات
١			
٢			
٣			
٤			
٥			
٦			
٧			
٨			
٩			
١٠			
١١			
١٢			
١٣			
١٤			
١٥			
١٦			
١٧			
١٨			
١٩			
٢٠			

كُنَّاشة الفوائد المهمة

م	الفائدة	الصفحة	ملحوظات
١			
٢			
٣			
٤			
٥			
٦			
٧			
٨			
٩			
١٠			
١١			
١٢			
١٣			
١٤			
١٥			
١٦			
١٧			
١٨			
١٩			
٢٠			

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كُنَّاشة الفوائد المهمة

م	الفائدة	الصفحة	ملحوظات
١			
٢			
٣			
٤			
٥			
٦			
٧			
٨			
٩			
١٠			
١١			
١٢			
١٣			
١٤			
١٥			
١٦			
١٧			
١٨			
١٩			
٢٠			

كُنَّاشة الفوائد المهمة

م	الفائدة	الصفحة	ملحوظات
١			
٢			
٣			
٤			
٥			
٦			
٧			
٨			
٩			
١٠			
١١			
١٢			
١٣			
١٤			
١٥			
١٦			
١٧			
١٨			
١٩			
٢٠			

صَدَرَ لِلْمُؤَلِّفِ

صَدَرَ لِلْمُؤَلِّفِ مؤلفاتٌ، ومنها:

١- دعوة إلى السنة في تطبيق السنة منهجاً وأسلوباً، دار القلم، الدار الشامية، بيروت، ط. الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م، ط. الثانية، الرياض، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، ط. الثالثة، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٢- قواعد ومنطلقات في أصول الحوار وردِّ الشبهات، الرياض، دار المسلم، ط. الأولى، ١٤١٤هـ.

٣- حوار حول منهج المحدثين في نقد الروايات سنداً ومتناً، الرياض، دار المسلم، ط. الأولى، ١٤١٤هـ.

٤- الأخلاق الفاضلة قواعد ومنطلقات لاكتسابها، الرياض، ط. الأولى، ١٤١٧هـ، ط. الثانية، الرياض، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ط. الثالثة، الرياض، ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م.

٥- أسلوب خطبة الجمعة، الرياض، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤١٩هـ.

٦- أزواجٌ بالكذب، جدة، دار الأندلس الخضراء، ١٤٢٠هـ.

٧- كلمات في مناسبات: -أقوالٌ وكلماتٌ قُلتُها في مناسباتٍ ما بين جِدٍّ في جِدٍّ، أو جِدٍّ في صورة هزلٍ -القسم الأول- الرياض، ط. الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٨- الإمام الدارقطني وآثاره العلمية-ويشتمل على دراسةٍ مفصّلة لكتابه: "السنن"، رسالة دكتوراه، جدة، دار الأندلس الخضراء، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

٩- طريقك إلى الإخلاص والفقه في الدِّين: المفهوم، والأهمية، والمجالات، والمقاييس والمظاهر، جدة، دار الأندلس الخضراء، ط. الأولى، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

١٠- تحقيق "نزهة النظر في توضيح نخبة الفِكَر في مصطلح أهل الأثر"، للإمام أحمد بن علي ابن حجر، ط. الأولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م، ط. الثانية، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ط. الثالثة، ١٤٤٣هـ-٢٠٢١م، ومع هذا الطبع: رسالة جمْع أشكال الحديث الضعيف.

١١- استخراج الآيات والأحاديث في البحوث العلمية: طُرقه - وسائله: عن طريق الكتب وعن طريق الحاسوب، الرياض، ط. الأولى، ١٤٢٥هـ.

١٢- مَنْ تُكُلِّمَ فيه وهو مُوَثَّق أو صالح الحديث، للإمام الذهبي، تحقيق ودراسة، الرياض، ط. الأولى، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م. -رسالة الماجستير-.

١٣- مدخل لدراسة مشكل الآثار، الرياض، ط. الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

١٤- توثيق السنة النبوية وعناية السلف بها، الرياض، ط. الأولى، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

١٥- فِقْهُ حديث خلوف فم الصائم: دراسةٌ لبيان الصواب في فقه الحديث ومناقشة خطأٍ شائع، الرياض، ط. الأولى، ١٤٢٨هـ.

١٦- منهجية فقه السنّة النبوية: قواعد ومنطلقات نظرية، وأمثلةٌ تطبيقية، الرياض، ط. الأولى، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

١٧- أخلاق الصائم وسلوكه، موضوعات رمضانية بعدد أيام الشهر، الرياض، ط. الأولى، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.

١٨- تدبر القرآن: وقفاتٌ ولفتاتٌ، ط. الأُولى، ١٤٣١هـ-٢٠١٠م، ط. الثانية، ١٤٣٩هـ-٢٠١٨م، ط. الثالثة، ١٤٤٦هـ-٢٠٢٤م.

١٩- قراءةٌ في مَصَادِرِ تَدَبُّرِ القرآنِ الكريم ومراجِعِهِ، ط. الأولى، الرياض، ١٤٤٥هـ-٢٠٢٤م.

٢٠- منهج تفسير القرآن الكريم بين الالتزام بالمأثور عن السلف والاجتهاد المشروع للخلف: دراسة نظرية تطبيقية نقدية، ط. الأولى، الرياض، ١٤٤٥هـ-٢٠٢٤م.

هذا الكتاب

- هذا كتابٌ عن القرآن صَنَعَهُ القرآنُ، لأنه إنما هو من بركة القرآن، وثمرة تدبره؛ فهو كتابٌ عن التدبر من ثمرة التدبر، ولقد كان سبباً ونتيجة -في أحايين متعددة- لتأمُّل الكتاب العزيز، ولطالما قضيتُ به ليالي وأياماً ممتعة مع المصحف الشريف: أُقلّبُهُ، وأُقبِّلُهُ، وأَقبَلُهُ، وأكتبُ عنه، فَوَا لَهْفَ نفسي على تلك السويعات، لَيْتَهَا لم تنقطع، أو ليتني عنها لم أنقطع!
- ﴿... ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ...﴾.
- والتدبر والفهم هما الغاية الأساس من وراء قراءة القرآن؛ لصالح العمل والتطبيق.
- والقرآن يتجدد بتجدد المتدبرين للآيات، ويتجدد بتجدد الإنسان والزمان، بل هو متجدد بتجدد تدبر القارئ الواحد، فكلما قرأه بتدبر، تجدَّدَ القرآن في نفسه وفي فهمه؛ لكنّ المهم أن يكون التدبر وَفْقَ منهجٍ سديد!
- وهذا الكتاب عن تدبر القرآن يدعو إلى التدبر بمنهج سديد، ويُسجِّل تجربةً شخصيّةً في تدبر القرآن الكريم، إضافةً إلى الإشارة إلى ما أسفرتْ عنه هذه التجربة من مقترحاتٍ ولفتاتٍ نحو التدبر بمختلف الطرق الصحيحة الممكنة.
- ويتضمن الكتاب وقفاتٍ عند آيات ومعانٍ وأساليب جاءت في الكتاب العزيز.
- إنه دعوة مفتوحة لتدبر القرآن الكريم، وطُرُقٌ وأساليب، تدعو كلَّ مسلم ومسلمة للأخذ بها؛ للوقوف على أنوار هذا الكتاب الإلهيّ، وهداياته!
- نسأله تعالى أن يجعلنا من أهله، وأن نقوم بحقه؛ فإننا لم نُخْلَقْ إلاَّ من أجل التعبد لله تعالى بهذا الكتاب العزيز.